

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة



كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: الفلسفة

تخصص: فلسفة العامة

مذكرة مقدمة ضمن نيل متطلبات شهادة الماستر:

البنوية التكوينية عند بيار بورديو

إشراف الأستاذ:

- د/ خشعي عبد النور

إعداد:

✓ صوشي عادل

السنة الجامعية: 2022-2023

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين خاتم

:الأنبياء أجمعين، أما بعد

اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك

الشكر لله عز وجل أولاً وأخيراً لما أنعمه علينا بنعمة العلم وأعانني

.على انجاز هذا العمل المتواضع

كما أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الخالص إلى كل من ساعدني على

إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور خشي عبد

النور الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذا العمل فلم يدرج جهداً

في التوجيه والإرشاد.

كما أخص بالشكر أساتذتي أعضاء اللجنة .

الإهداء

إذا كانت الحقيقة تـمـسـك بـكـل جـمـيـل ، فالأم أجمل حقيقة فالإهداء لا يكفي

لمن أهدتني حقيقتي، كل الإهداء إلى أمي .

حينما أبحث عن لغة الإهداء تغادرني الكلمات وتتلاشى اللغة ، لتختفي خلف

ستار الافتخار، فالحب كل ما يكنه الأبناء لإبائهم ، فكل الإهداء إلى أبي.

إلى إخوتي وأخواتي، أهدي هذا النجاح كبداية لنجاحهم .

إلى عائلتي وجميع أقاربي، أخصهم بقلمي وأذكرهم بقلبي ، وأتمنى لهم الخير

فيدنياهم وآخرتهم.

الصداقة شيء جميل، لكن الأجل أن يكون لك صديق أقرب ما يكون أخ،

فإلى أصدقائي وأحبائي كامل الإخلاص والإخوة

مقدمة

في أواخر القرن 19 غدا لفظ البنيوية مفهوما ملازما للدراسات الاجتماعية وأصبح من الممكن رؤية البنية على أنها تتواجد ضمنا في تحليل العلاقات والمؤسسات الاجتماعية وان أي رؤية للأحداث الاجتماعية كعوامل متعاقبة ومترابطة هي بنيوية.

ولقد شكلت بنيوية ليفي ستراوس مفتاحا لدراسات بنيوية أشد عمقا وفهما وتغيرا في المفاهيم في وقت كان فيه بورديو حتى عام 1955 يتكون سوسيولوجيا ومعرفيا على نحو ملفت للانتباه ، وفي وقت كانت البنيوية كنظرية اجتماعية تتجه للهيمنة على ساحات البحث الاجتماعي .

لاشك أن بيير بورديو عالم اجتماعي موسوعي كافح على جبهة ندر أن ماثله فيها أحد من السابقين واللاحقين عليه ، فلم يقدم على مغامرته علمية قبل أن يستطلع الأطروحات التي سبقته لصياغة نظريته فجعل بنيويته التكوينية رؤية المدى الاجتماعي كحقل من الصراعات الاجتماعية التي تقع في نطاق الطبقات ، بعيد عن المحتوى الماركسي التقليدي للصراع .

يكتسي البحث في موضوع البنيوية التكوينية عند بيير بورديو أهمية وخصوصية كبيرة، لكون البنيوية التكوينية جاءت في ظل الفكر الماركسي الهيجلي من مناهج ولتسد ثغرات البنيوية وتجمع ما بين البعد الاجتماعي والبعد اللغوي بحيث أعادت للمبدع اعتباره فكانت

مقدمة

منهجها علميا موضعيا يؤكد على العلاقات القائمة وبين النتائج والمجموعة الاجتماعية التي ولد النتائج في أحضانها .

وقع اختياري للموضوع وفقا لعدة أسباب ودوافع منها الذاتية ومنها الموضوعية أهمها:

✓ الميول الشخصي للمواضيع المتعلقة بالمفكر بيار بورديو .

✓ هيمنة البنيوية كنظرية اجتماعية على ساحات البحث في العلوم الإنسانية واللغوية

✓ يعد بيار بورديو من أهم المفكرين الفرنسيين ومن بين أهم المنظرين الذين تعد

أعمالهم أدوات للنضال الفكري والمعرفي والنظري فيما يعرف الآن بحركة العولمة

البديلة.

وعلى هذا الأساس أردنا أن نطرح إشكالية الموضوع على الشكل الآتي:

كيف عمل بورديو على اخراج البنيوية التكوينية كنظرية اجتماعية ومنهجها لها ؟

وماهي منطلقاته المركزية ؟ وكيف جعل البنيوية كمقاربة سوسيولوجية ؟.

وفي إطار معالجة هذا الموضوع وللإجابة عن هذه الإشكالية وما يتفرع عنها من

إشكاليات جزئية تم اعتماد خطة مكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، يتناول كل فصل

شقا من الدراسة كالتالي:

- **الفصل الأول:** كان بعنوان بيير بورديو رائد البنيوية التكوينية تناولنا فيه:

أولا : مفهوم البنيوية وجذورها التاريخية ثانيا: البنيوية بداية مع روادها المؤسسين وصولا الى بيير بورديو.

- **الفصل الثاني:** بعنوان المقاربة السوسولوجية عند بيار بورديو حيث تضمن فيه :

قراءة للأطر الفكرية والمعرفية لبيير بورديو ، حيث تطرقنا إلى مدى حضور النصوص الفلسفية والسياسية للجيل الأول من الاجتماعيين الكبار من أمثال كارل ماركس وماكس فيبر و إميل دوركايم، الذين يعدون مدارس أكاديمية عليا يجب العودة إليها ، لكن بورديو حاول التوفيق والتأليف و التجاوز في أغلب الأحيان فكانت مقارنته نقدية وأصلية ، ثم كان لابد إلى التطرق إلى المنهجية التي اعتمدها و المتمثلة في البنيوية .

- **الفصل الثالث:** بعنوان بنيوية بيير بورديو التكوينية وأهم المفاهيم المركزية لها تضمن هذا

الفصل : مجموعة من المفاهيم السوسولوجية التي اعتمد عليها بورديو في مشروعه الفكري ووظفها في أبحاثه ودراساته وكتبه، وقد كان لها تأثير في كثير من النظريات والمدارس السوسولوجية المعاصرة، على الرغم من تعقيدها وغموضها . ونذكر من بين هذه المفاهيم ما يلي: الهابيتوس والعنف الرمزي، الرأسمال. إضافة إلى مفهوم إعادة الإنتاج عند بيار بورديو وأهم استراتيجياته : كاستراتيجيات الاستثمار البيولوجي، الاستراتيجيات التربوية، الاستراتيجيات الوراثية ...

- وفي نهاية هذا الفصل تطرقنا إلى نظرية بورديو بين مؤيدين ومنتقدين .

اعتمدت هذه الدراسة على منهجين يخدمان طبيعة الموضوع أولهما المنهج التاريخي الذي سار مع البحث ليرصد مختلف التحولات التي مرت بها البنيوية منذ نشأتها وصولاً إلى بيير بورديو ، أما الثاني فكان المنهج التحليلي النقدي والذي سخر للوقوف على مختلف المحطات التي تناولتها البنيوية التكوينية

وأما الصعوبات التي واجهتني في انجاز دراستي أذكر منها: تشتت أفكار بورديو وتنوعها وتعدد جوانب أفكاره وتشعبها، وغزارة إنتاجه وتعقد أسلوبه وصعوبة لغته.

الموضوع في حد ذاته واسع ، مع كثرة المصطلحات الخاصة بالموضوع، صعوبة الترجمة التي تطلبت الوقت والحرص على عدم المساس بمعاني الألفاظ ومحتويات الأفكار.

بيير بورديو رائد البنوية التكوينية

الفصل الأول

1. مفهوم البنية والبنوية.
2. البنية التكوينية.
3. البنية التكوينية وصولاً إلى بيير بورديو.
4. المسار الفكري لبيير بورديو.

1. مفهوم البنية والبنيوية

1-1 مفهوم البنية :

أ. لغة:

لقد ورد مصطلح بنية في المعاجم العربية منها لسان العرب حيث جاء فيه "البنى" نقيض الهدم، بنى البناء بنيا وبناء وبنى مقصور وبنينا وبنية وبناية وابتناه وبناه، ورد أيضا البنى من الكرم، من ذلك بيت الحطيئة:

أولئك قوم، إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقدوا شدوا¹

فالمعنى الاشتقاقي لكلمة (بنية) من الفعل الثلاثي (بنى)، كما تدل على معنى التشييد، وفي النحو العربي تتأسس ثنائية المعنى والمبنى على الطريقة التي تبنى بها وحدات اللغة العربية، والتحويلات التي تحدث فيها، ولذلك يقال الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، فكل تحول في البنية يؤدي إلى تحول في الدلالة.

أما الدكتور زكريا إبراهيم فقد جاء في كتابه مشكلة البنية «بأن كلمة (STRUCTURE) مشتقة من الفعل اللاتيني (STRUCRE) بمعنى (يبني) أو (يشيد) وحين يكون للشيء (بنية) في اللغات الأوروبية فإن معنى هذا - أولا وقبل كل شيء- إنه ليس بشيء (غير منظم) و«عدم الشكل» (AMORPHE) بل هو موضوع منظم له (صورته) الخاصة و(وحدته الذاتية)².

¹ جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي وفتحي السيد، دط، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دت، مج، 1ص .

² زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دط، دار مصر للطباعة، القاهرة، دت، ص29.

يضيف يوسف وغليسي أن كلمة (بنية) مع سائر اشتقاقها لم يكن لها حضور كبير في التراث العربي القديم، فقد ورد الفعل (بنى) وسائر اشتقاقته (بناء، بنيان، مبنية...) نحو اثنان و عشرين موضعا من القرآن الكريم خاليا من كلمة بنية¹ كما في قوله تعالى « الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ».سورة البقرة، من الآية (22) وبصيغة بنيان كما في قوله تعالى: « فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ » سورة الكهف، [من الآية (22)].

ب. اصطلاحا:

إن مصطلح البنية كغيره من المصطلحات، واجه العديد من الاختلافات الناتجة عن تعدد استعمال هذا المصطلح في مجالات مختلفة:

البنية « نسق من العلاقات الباطنة المدركة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة، لكل على الأجزاء له قوانينه الخاصة المحايثة: من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي².

في حين يعرفها "جان بياجي Jean piaget" على أنها «عبارة عن نسق من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا، إن هذه البنية تتسم بخصائص ثلاث: الكلية، التحولات، الضبط الذاتي³.

مع اكتساب كلمة بنية معنى المجموع أو الكل المتناسك، دخلت إلى العلوم المختلفة في ظل المذاهب الفكرية والنقدية التي استعملتها وأصولها التاريخية والمعرفية، فأصبح لها معنى اصطلاحى يتعلق بكل منها، لذلك احتوى هذا المفهوم على أكثر من رؤية كما أقر بذلك جان بياجي حين قال: « إن إعطاء تعريف موحد للبنية رهين بالتمييز بين فكرة المثالية

¹ يوسف وغليسي، البنية والبنيوية، بحث في البنية اللغوية والإصلاح النقدي، دط، جامعة قسنطينة، الجزائر: دت، ص 19-20.

² أحمد سالم ولد أباه: البنيوية التكوينية والنقد العربي الحديث، المكتبة المصرية، 2005 ص 76.

³ إبراهيم روماني: أسئلة الكتابة النقدية، المؤسسة الجزائرية، ط، 1984، ص 57.

الإيجابية التي تعطي مفهوم البنية في الصراعات، وفي آفاق مختلفة أنواع البنيات والنوايا النقدية التي رافقت نشوء تطور كل واحدة منها مقابل التيارات القائمة في مختلف التعاليم¹ .

ويقول أندري لالاند «إن البنية هي كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه»² وهو تعريف رأى فيه زكريا إبراهيم بأنه عام ويصدق على جميع أنواع البنيات ومصطلح البنية هو أهم مصطلح اعتمده البنيوية، ولنضبط مسار بحثنا وسط هذه المفاهيم نكتفي باعتبار البنية ترجمة من العلاقات بين عناصر مختلفة تشكل كلا متكاملًا شاملًا، تحكمه لعبة التحولات التي لا تخرج عن نطاق النظام اللغوي ولا تتجاوزه محتكمة في هذا إلى خاصية التحكم الذاتي³.

2.1- مفهوم البنيوية:

لقد كان لظهور البنيوية في أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين أثره البالغ كمنهج ونظرية على السواء، مع هذا الظهور «احتلت مقولة البنية مكان الصدارة في مجالات وفروع علمية عديدة: الأنثروبولوجية، النقد الأدبي، الفلسفة، والإبستمولوجيا»⁴، ومفهوم البنيوية ينطلق من مفهوم البنية الذي أشرنا إليه آنفاً، الذي يعتبر أساس التحليل البنيوي، فإذا كانت البنية هي نظام العلاقات بين عناصر مختلفة، تشكل في مجموعها كلا متكاملًا مكتف بذاته وقابل للتحول والتجدد داخليًا ضمن دائرة مغلقة، فإن البنيوية هي دراسة لهذا النظام وكشف عن علاقاته الداخلية التي تحكمه.

اختلف الدارسون والنقاد في حصر مفهوم "البنيوية" وتحديد دلالتها، وهو ما صعب على الباحثين «إيجاد ميزة للبنيوية، ذلك أنها ارتأت أشكالًا كثيرة التنوع لا تسمح بتقديم قاسم

¹ جان بياجيه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة ويشير أوبري، ط، 4 منشورات عويدات، بيروت 1292 م، ص 7.

² زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، المرجع السابق، ص 31.

³ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط، [مؤسسة الشروق، القاهرة: 1998 م، ص 134.

⁴ الزاوي يغورة، المنهج البنيوي، ط 1، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميله، الجزائر: 2001 م، ص 12.

مشترك وأن "البنيات" المعروفة اكتسبت معان تزداد اختلافاً¹ نظراً للتعدد السالف الذكر، لذا أورد لها البنيويون تعاريف كثيرة تستمد مشروعيتها من الاختلاف حول مفهوم البنية.

المنظور البنيوي على ضوء هذه الرؤية يؤكد على أسبقية الكل على الأجزاء و« الجزء لا قيمة له إلا في سياق الكل الذي ينتظم² » إن هذه الفكرة التي تقمصتها البنيوية في الدعوة إلى نظام كلي متناسق يعطي السلطة للنص تعد ردة فعل على الأفكار النقدية التي كانت تتخذها - النص - سبباً لتأكيد وإثبات حقائق خارجية نفسية أو تاريخية أو اجتماعية، فالبنيوية تدعو لدراسة النص في ذاته ومن أجل ذاته وهي فكرة تقود إلى مبدأ فرديناند دي سوسير اللساني دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، لذلك فالبنيوية في النقد الأدبي هي ثمرة من ثمرات التفكير الألسني السوسيري الذي انطلق من مسلمة مفادها أن «علم اللغة يجب أن يتخلص من التخصصات الأخرى التي تثقل كاهله، كالفلولوجيا والفلسفة والدين ونظريات الأخلاق،... فالدارسات اللغوية التي كانت سائدة قبل سوسير مجرد وسيلة لغايات أخرى خارجة عن نطاق اللغة ذاتها، وحسم المشكلة نهائياً حين أعلن مبدأ الاستقلالية³»، فصارت اللغة هي الموضوع الأساسي في المقاربة البنيوية بعدما «كان النمط السائد من القيم التي تحكم النقد السابق على البنيوية يستمد من عناصر خارجة عن النص الأدبي»⁴، وهي منطلقات يستغني عنها البنيويون، على أساس « رفض أحكام القيمة الخارجية وإحلال حكم آخر محلها هو الواقع، وحكم الواقع هنا لا يتمثل في الحياة الخارجية ولا تياراتها وإنما يتمثل في الدرجة الأولى في النص الأدبي ذاته، والواقع هو النص الأدبي ذاته، ما ينبثق من النص وما يتجلى فيه من كفاءة شعرية ومستوى أدبي»⁵.

¹ جان بياجيه، البنيوية، المرجع السابق، ص7.

² يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ط1، جسور النشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر: 2007م، ص64.

³ بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، ط1، دار الفجر للطباعة والنشر، قسنطينة: 2006م، ص23.

⁴ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ط1، دار ميريت للنشر، القاهرة: 2002م، ص96.

⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالمنهج البنيوي بهذا المفهوم يقارب النصوص مقارنة آنية محايدة ويعرف جابر عصفور المحايدة بأنها «مصطلح يدل على الاهتمام بالشيء¹»، من حيث «هو ذاته وفي ذاته، فالنظرة المحايدة هي النظرة التي تفسر الأشياء في ذاتها ومن حيث هي موضوعات تحكمها قوانين تتبع من داخلها وليس من خارجها²»، وهذه المنهجية في قراءتها للنصوص تركز على ما هو لغوي، ويستقرن الدوال الداخلية للنص دون الانفتاح على الظروف السياقية الخارجية التي قد تكون أفرزت هذا النص من قريب أو بعيد، وهو السياق الذي يؤكد أبعادا معرفية أبرزها:

- المبدع في المقاربة البنيوية، أمر هامشي نوعا ما لأن مدار البحث يكون حول إبداعه.

- الاعتناء بشكل الإبداع لا بمضمونه، لأن المضمون هو شيء يحصل بالضرورة في ارتباطه بالشكل³.

البنيويون ينطلقون جميعا من فكرة تنظر إلى النص باعتباره جسدا يجب قطعه عن كل الملابس الخارجية، أضف إلى ذلك أن البنيوية الشكلية رفضت «النظريات النفسية التي تضع الفروق المميزة في الشاعر لا في الشعر، أو تحيل قضية الخلق إلى الموهبة⁴».

من هنا فالعمل الأدبي يتجاوز نفسية مبدعة ويكتسب وجوده الخاص والمستقل، وبذلك فالبنيوية حملت لواء العلمية والموضوعية بحكم استنادها إلى علوم دقيقة كاللسانيات، والتي تدعى بالألسنية البنيوية، ويكمن هدف البنيوية حسب صلاح فضل في «الوصول إلى محاولة فهم المستويات المتعددة للأعمال الأدبية، ودراسة علائقها وتراتبها والعناصر المهيمنة على غيرها وكيفية توليدها ثم كيفية أدائها لوظائفها الجمالية والشعرية على وجه الخصوص⁵»،

¹ جابر عصفور، نظريات معاصرة، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1988م، ص 215.

² جابر عصفور، المرجع نفسه، ص 215.

³ عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 2002 ص 192.

⁴ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 16.

⁵ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، المرجع السابق، ص 98.

وبذلك فهذا المنهج الداخلي يرمي للكشف عن خصائص العمل الأدبي ودراسة عناصره الداخلية لمعرفة كيفية ترابط وتناسق هذه العناصر وعملها معا مستقلة عن أي عوامل خارجية، وقد شهد هذا المنهج رغم تأخره رواجاً في الساحة النقدية العربية، لاسيما تونس، مصر والمغرب، فهذه الأخيرة كانت قد استلمت مشعل الفكر البنيوي « وإن أول دراسة عربية انتهجت المنهج البنيوي هي الدراسة القيمة التي تقدم بها عبد السلام المسدي في كتابه (الأسلوبية والأسلوب) الصادر عام 1277م، حيث جاء في مقدمة هذا الكتاب حديث المسدي عن ماهية البنيوية بوصفها ممارسة نصية تستهدف دلالات البنية من حيث هي شكل يقوم على مجموعة من الروابط والعلاقات الخفية»¹.

ولقد لقي هذا المنهج كغيره مشكلة في تعدد المفاهيم، ويرجع سبب ذلك إلى غياب ترجمة موحدة للمصطلح نفسه إلى جانب اختلاف التكوين الفكري والعلمي لمن يقوم بترجمة مصطلح البنيوية، لذلك كان من الطبيعي أن يختلف مفهوم البنيوية من ناقد لآخر إلا أنهم اتفقوا على مبدأ عزل النص عن سياقاته.

¹ بشير تاويريت، الحقيقة الشعرية، على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية (دراسة في الأصول و المفاهيم) ، ط1 ، عالم الكتب الحديث: 2010م، ص71.

2- البنيوية التكوينية Structuralisme génétique

1.2 - مفهوم البنيوية التكوينية:

يستوجب مفهوم البنيوية التكوينية معرفةً أولاً مفهوم البنية لدى "لوسيان غولدمان" الذي أسس هذا المنهج، والبنية عنده تشبه البنية لدى "جان بياجيه" الذي « يقدم تصورا نظريا متكاملا عن البنية بينما يتولى لوسيان غولدمان تطبيق هذا التصور في مجال الدراسة الاجتماعية للأدب¹ » وبضيف الباحث "محمد الأمين بحري" في هذا الصدد فيقول « إن البنية بمفهوم غولدمان تلتزم بالتصرفات الإنسانية التي تكون عملية فهمها تعبيراً عن وضع إنساني وهذا يحصل انطلاقاً من فعل الفاعل الفرد الذي يمنح لفعله بعداً اجتماعياً ومعنى شمولياً يعكس الرؤية الذهنية لجماعته أما التكوين أو التوليد هنا لا يتضمن أي بعد زمني يعيد الشيء المدروس إلى تاريخ ولادته ونشأته فالبعد الزمني في هذا الشأن ثانوي جداً²، « فصفة التكوينية على هذا الأساس تعني الصيغة الاستدلالية للفعل، وتتبع مسار تكوينه داخل العمل الفني وتعيد تركيب بنائه ارتكازاً على الدلالة الاجتماعية التي يتجه إليها³ ».

إنّ البنيوية التكوينية منهج نقدي يسعى إلى التوفيق بين أطروحات البنيوية بصيغتها الشكلانية وبأسس الفكر الماركسي الجدلي، والتي أسهم في صياغتها وبلورة فكرها، الفرنسي الروماني الأصل " لوسيان غولدمان Lucien Goldmann " المتأثر بأفكار أستاذه "جورج لوكاتش"، وقد أشار الدكتور "محمد الكتاني" في تقديمه لكتاب « الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي - دراسة بنيوية تكوينية » للناقد المغربي "حميد لحداني"، وهو في الأصل رسالة جامعية حدد زمانها منذ بداية استقلال المغرب عام 1956 حتى 1978 إلى أن « الشق الأول من المنهج (البنيوية) يعني اعتبار النص الروائي بنية فنية ذات استقلال وتميز عن باقي البنى الأخرى للأشكال الأدبية باعتبار هذه البنية دالة بذاتها على ذاتها، وأما الشق

¹ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 128.

² جمال شحيد، في البنيوية التركيبية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، دار ابن رشد، بيروت، د ط، 1982، ص 77.

³ محمد الأمين بحري، البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، كلمة للنشر والتوزيع، دار الأمان الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط 2015.

الثاني (التكوينية) فيعني الأخذ بالسياق الفكري والاجتماعي الذي يعكس بنية سوسولوجية مناظرة للبنية الفكرية¹، أي أن هذا المنهج يسعى إلى إعادة الاعتبار للنص الأدبي، وذلك بربطه بالظروف الاجتماعية التي ولد في أحضانها بقيامه على مبدأ التناظر والتماثل الذهنية الموجودة في العمل الأدبي وبين البنيات الأدالية عليها في المجتمع، وذلك من خلال التركيز على بنية فكرية تتمثل في رؤية العالم عند طبقة أو مجموعة اجتماعية ينتمي إليها الكاتب.

البنيوية التركيبية التكوينية هي عبارة عن منهجية ترتبط بالأعمال والتصرفات الإنسانية، إذ يكون فهمها محاولة إعطاء جواب بليغ على وضع إنساني أو اجتماعي معين، تقيم توازن ثابت بين الفعل والفاعل أو بين الأشخاص والأشياء، إذا فصفة تكوينية أو توليدية هنا تعني الأدالية، دون الرجوع إلى النشأة بالضرورة²؛ أي أنها تتعامل مع البنية الأدالية من منطلق تجريدي يعزل البنية وعلاقتها عن كل المؤثرات الخارجية التي تربطها بها، سيما وأن هذه المؤثرات أساسها الإنسان والحراك الاقتصادي الذي تسيّره الجماعة.

وعليه فالبنوية التكوينية « منهجية تحاول البحث عن العلاقات الرابطة بين الأثر الأدبي وسياقه الاجتماعي، الاقتصادي الذي سبق تكوينه، ولا ينظر إلى هذه العلاقات على أنها مجرد تساوق أو توازن بسيط بين بنية الأثر الأدبي وبين شروط إنتاجه الاجتماعية والاقتصادية، وإنما يعتبرها اندماجا تدريجيا بين سلسلة من الجمل أو الكليات النسبية³».

¹ حميد لحداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي -دراسة بنيوية تكوينية-، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985ص أ.

² جمال شحيد، في البنيوية التركيبية، ص 77.

³ محمد نديم خشفة، تأصيل النص، المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1997، ص09 - 10.

ولعل الشيء الذي يحسب للبنيوية التكوينية هو أنها وخلافا للنظريات الانعكاسية قد أعادت الاعتبار للقيمة الجمالية في العمل الفني الأدبي، فلم يعد معها مجرد وثيقة اجتماعية تكتفي بأن تصور الواقع. وبذلك أخذت البنيوية التكوينية مع الناقد "لوسيان غولدمان" طابعا علميا موضوعيا لا ينظر للنص من زاوية واحدة، وإنما يرى بضرورة الربط بين دراسة النص الأدبي وبين الظروف الاجتماعية والتاريخية والثقافية التي ساهمت في إنتاجه.

2-2 المصطلحات الإجرائية للبنيوية التكوينية:

لقد اعتمدت البنيوية التكوينية على مجموعة من المصطلحات الإجرائية، ومن أهم هذه المصطلحات ما يلي¹:

- رؤية العالم (La vision du monde) .

- التفسير (l'explication) .

- البنية الدالة (La structure signification) .

- الفهم (Le comprehension) .

- الوعي الممكن (La conscience possible) .

- الوعي القائم (La conscience réelle) .

¹ حميد حميداني: النقد الروائي والإيديولوجي، من سيبيولوجيا الرواية إلى سيبيولوجيا النص، المركز الثقافي العربي، ط 1، لبنان، 1990 ص77.

3- البنيوية التكوينية وصولاً إلى بيير بورديو

في مطلع القرن العشرين ظهر المنهج البنيوي التكويني على إثر بوادر وجهود عدة مفكرين ونقاد، منهم جورج لوكاش الذي ربط الأدب بسوسيولوجياته والتي استفاد منها تلميذه لوسيان غولدمان، وبلورها لتصبح منهجا له.

3-1 جهود جورج لوكاش:

يعد لوكاش من أهم الأعلام الذين اهتموا بالمنهج البنيوي التكويني ، وذلك بالقول إن الجهود التي بذلت في نطاق هذا المنهج كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى الأعمال الروائية، مما يعطي الانطباع بأن نظرية الرواية قد بدأت - مع هذا المنهج بالذات - تأخذ طريقا نحو الشكل وليس من قبيل الصدفة أن يكتب "لوكاش" نفسه كتابا يحمل عنوان "نظرية الرواية" سنة 1920م¹.

من المعروف أنه كان من بين من بلور فكرة " رؤية العالم " تلك التي تبناها بعده " غولدمان"، ففي دراسته عن " والترسكوت" ربط الرؤية الفكرية لهذا الكاتب بتصور عن التاريخ بدأ يتشكل في أوروبا تحت تأثير فلسفة "هيجل" وهو تصور يؤمن بالتطور ولكن في حدود الإصلاحات الجزئية التي لا تغير الواقع بشكل تام².

تميز المسار النقدي لجورج لوكاش بمرحلتين هامتين ساهمتا في بناء إنجازاته.

¹ حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجي، المرجع السابق، ص61.

² حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجي، المرجع نفسه، ص61.

- عرفت المرحلة الأولى بكتاباته التي تبني فيها المنطلق الجدلي الظاهراتي، من خلال مؤلفاته (الروح والأشكال)، و(التاريخ والوعي الطبقي) و(نظرية الرواية)، ولعل هذا الأخير هو أكثر المؤلفات تداولاً عند الدارسين، يشرح فيه الكاتب فكرته الأساسية وفهمه الذي يعكس العلاقة بين الوعي والعالم، بين الذات والموضوع في المجتمع الحديث البرجوازي، في سياق اجتماعي (مادي - جدلي)، هذا الانجاز الذي يحاور فيه الأعمال الأدبية بلغة فلسفية.

- أما المرحلة الثانية فيستمد لوكاش تطلعاته من خلال الأطروحات المادية الجدلية للنظرية الماركسية، و«لأن عمله لا ينفصل عن الواقعية الاشتراكية الصارمة، فقد يقال إن لوكاش استبق بعض النظريات السوفيتية، ولكنه طور النظرة الواقعية إلى الأدب تطويراً ينطوي على قدر كبير من العمق، وكان يميل إلى الجانب الهيجلي من الفكر الماركسي¹».

يمكن القول أن المزج ما بين هذين المنهجين الفلسفيين هو الذي قاده إلى التأسيس لجمالية روائية، لا تكفي بدراسة المضامين، بل تحاول أيضاً أن تعطي أهمية كبيرة للأشكال الأدبية، أضف إلى ذلك أن تبني لوكاش للنظرية الماركسية حول التطور التاريخي للمجتمعات، جعله يبلور منظوراً تطوري جدلي لحركة المجتمع وحقيقة البنية الفوقية التي هي نتاج للعلاقات المادية التي تشكل جوهر العلاقات المادية التي تشكل جوهر العلاقات الاجتماعية، لم تمنعه من أن يعطي أهمية للقيم الفردية للإنسان، لأن حقيقة الإبداع الأدبي لا تصل إلى مستواها الأمثل إلا إذا تجسدت فيها القيم الفردية والجماعية في آن واحد، وهذه القيم التي تمثل الشكل الفني الأدبي، ينبني تماسكها على درجة من التناسق بين ما هو فردي وما هو جماعي، وجورج لوكاش ينظر للأدب من زاوية «لا يعكس الواقع مثلما تعكس المرأة الأشياء الموضوعية أمامها، وإنما الأدب معرفة بالواقع الخارجي تنعكس فيه - أي الأدب - من خلال صياغة الكاتب الإبداعية لشكل العمل الأدبي الذي يعكس شكل العالم الحقيقي²».

¹ رمان سيلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دط، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1229م، ص22.

² محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دط، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق: 2003م، ص236.

يرى لوكاش بأن الأدب في جوهره هو معرفة بالواقع ناتجة عن رؤية وتحليل، وليس انعكاسا سطحيا لمظاهر الواقع الذي يعطينا نصوصا سمتها الأساسية الوصف الفوتوغرافي.

التنظير الروائي عند لوكاش:

بدأ لوكاش نظريته حول الرواية بسرد التحولات الحاصلة في مسارها، بالرجوع إلى زمن انقضى في العالم القديم الذي مثلته الحضارة الإغريقية، وجد فيها الملحمة أبلغ شكل عندهم، يستوعب ملابسات تلك المرحلة التي يصفها في كتابه «الأزمة السعيدة»¹. على عكس النظام الرأسمالي الذي يرفضه ويتدمر منه ويعرف الحرب أكثر مما يعرف السعادة².

وتطرق لوكاش إلى ما سماه الأزمة السعيدة لما وجده من انسجام بين الفرد والمجتمع، تطبع حياته الطمأنينة في وحدة الروح مع العالم الخارجي، الذي كان يتوافق مع طموحات الفرد وعطاءاته، وهو ما لمسها لوكاش في الملحمة الهومييرية «لم يكن (البطل الملحمي) يشعر بعزلة أو يعيشها حتى في حال انكساره لأنه يحافظ دوما على التوازن بين عالمه الذاتي الداخلي والعالم الموضوعي الخارجي»³، وان شعور هذا الفرد بالطمأنينة إنما مرده إلى إيمانه بأن مصيره محكوم وموجه من طرف الآلهة، غير أن ظهور الرواية مع ولادة المجتمع البرجوازي، جعل لوكاش يقف عند حقائق متماشية مع الوضع المستجد الذي بدأ فيه الإله المسيحي بالتخلي عن الكون⁴، ودخول الروح في صراع مستمر مع العالم الخارجي، فأصبحت حياة الإنسان تميل إلى التدهور جراء الانفصال بين ماهية الروح وماهية البنى الاجتماعية في النظام الرأسمالي، وهذا الوضع المتأزم، أوضح قصور الغنائية الملحمية عن استيعاب هذا الواقع الجديد، وتجسيد آمال الإنسان المتأزمة أوضاعه، مما استوجب البحث عن شكل آخر يتجاوب مع متطلبات الوضع الراهن، وهكذا كان التحول على مستوى الشكل

¹ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: 1995م، ص 9.
² المرجع السابق، نظرية الرواية والرواية العربية، الصفحة 9.

³ محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، المرجع السابق، ص 251.

⁴ المرجع نفسه، ص 252.

من الملحمة إلى الرواية مرورا «بفترة انتقالية بينهما ظهرت فيها رواية الفروسية ذات البناء القريب من بناء الملحمة الإغريقية»¹.

مع تلك المحاولات التي كان أصحابها يعبرون بها عن هروبهم من هذا الوضع ورفضهم لمقتضياته، إلى عالم ميتافيزيقي يجدون فيه نوع من الطمأنينة، من ذلك ما نجده في (الكوميديا الإلهية لدانتي) بشكلها الذي يشابه الملحمة.

إن تبني لوكاش لجانب من مقاربات وأطروحات هيغل جعله يعلن على أن الرواية شكل أدبي دال على المجتمع في تركيزه على الجانب الاجتماعي للإبداع ونظرته إلى الإبداع الروائي بوصفه تمثل للحياة الاجتماعية في مظهرها الطبقي²، وقد استفاد لوكاش وفقا للتغييرات التي جاء بها العصر البرجوازي من تصورات هيغل في كتابه (علم الجمال)، من خلال إشارته إلى العنصر الروائي وبرز العنصر الجديد داخل المجتمع، نتيجة التعارض بين الإنسان وعالمه، أو الفرد والمجتمع، فمنذ « تكون المجتمع البرجوازي بدا أن الفرد والمجتمع قد انفصلا»³، على عكس الملحمة التي كانت القيم الجماعية غالبية عليها، قام لوكاش بعقد مقارنة بين الملحمة والرواية باعتبارهما « تمثيلين لشكلين من أشكال السلوك الثقافي⁴ » ومبرزا في ذات الوقت الخصائص النوعية التي تربط بين الشكل الروائي في تعلقه بالشكل الملحمي وتطور المجتمع البرجوازي، فهيجل يرى أن شعرية القلب هي التي

¹ محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، المرجع السابق. ص 252.

² عمرو عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق: 2008 م، ص 239.

³ مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة: رضوان ظاظا، دط، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: دت، ص 122.

⁴ عمر وعيلان، مناهج تحليل الخطاب السردي، المرجع السابق، ص 242.

تطبع الملحمة، أما نثرية العلاقات الإنسانية فتعبر عنها الرواية، يقصد بذلك أن ما يعبر عن وحدة الروح وانسجامها مع العالم الذي يحيط بها يرتبط بالشعر، بينما ما يتصل بالنثر في العلاقات الاجتماعية يعبر عن قطيعة وانشقاق بين الذات والعالم المحيط.

هذا التصور الذي دفع جورج لوكاش إلى العناية بالإبداع الروائي بشكل خاص، واعطاء أهمية بالغة لدراسة الرواية من موقع أنها الوجه الكاشف للتطور الحقيقي في الميدان الثقافي والتاريخي للمجتمع، واعتبارا لذلك فإن الدراسة التحليلية للرواية يجب أن تتطلق من مبدأ أساسي هو الكشف على البنيات الدلالية في النصوص الأدبية، والبحث عن الرؤية الشمولية التي يسعى الفرد لبلوغها عبر تفاعله مع الحركة الذاتية لسيرورة المجتمع، لذلك «إن مقدرة تؤول فكريا لم لعنا الشخصيات الأدبية على التعبير عن نظرتها إلى العالم فكريا تؤول جزءا مكونا ضروريا وهاما من الترجمة الفنية للواقع¹».

هذه المنطلقات اللوكاشية ساعدت تلميذه لوسيان غولدمان في بناء منهج أدبي وسمي بمصطلح (البنيوية التكوينية)، والذي تقوم دعائمه على مقولات ومفاهيم يشترك فيها مع أستاذه واستلهمها منه في إرساء معالم هذا المنهج.

2-3 جهود لوسيان غولدمان (اكتمال النظرية)

وفي خضم هذه التناقضات والرؤيا الفلسفية والعلمية المجردة ، في التعامل مع التاريخ والإنسان، ظهر لنا ما يعرف "بالبنيوية التكوينية" والتي أسهم في صياغتها وبلورة فكرها الفرنسي الروماني الأصل (لوسيان جولدمان).

¹ جورج لوكاش، دراسات في الواقعية، ترجمة: نايف بلوز، ط 3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: 1985م ، ص 25.

والذي بدوره أظهرها بشكل ملح، باثا فيها روح التوفيق بين طروحات البنيوية في صيغتها الشكلانية، وأسس الفكر الماركسي أو الجدلي، كما يسمى أحياناً، في تركيزه على التفسير المادي الواقعي للفكر والثقافة عموماً.

استمد جولدمان طروحاته من خلال تأثره الواضح بأفكار المجري جورج لوكاش، والذي طور النظرية النقدية الماركسية باتجاهات سمحت لظهور "البنيوية التكوينية" والتي من خلالها أراد جولدمان أن يبيث روح النقد السيسولوجي من جديد على غرار النقدية الماركسية ولكن برؤيته التكوينية أو التوليدية في قالب لا يخرج عن السطوة البنيوية والتي لا بد وأن تحتويها لتكون فرعاً من فروعها السيسولوجية، أصر جولدمان على أنه ينبغي للناقد أن يرى العالم من زاوية أخرى تكون أكثر وعياً وإسهاماً في إجلاء الفكرة الغائبة عن النظرة المعهودة له سيما وأن البنيوية الجديدة أسهمت بشكل واضح في تغييب الأديب والناقد والإنسان عن المجتمع والتاريخ، أراد جولدمان أن ينهض بتلك التصورات راسماً لنفسه خطى يسير عليها بشكل أكثر ايجابية كما كان يتصور¹. كان محور اهتمامه في منهجه البنيوي هو الفئات الاجتماعية والتي تشكل إبداعاً ثقافياً، متجاوزاً الإبداعية الفردية لكل شخص في المجتمع الواحد، فقد أطلق رؤيته (الرؤية الكونية) التي تفرض ثقافتها على الكاتب، مشدداً على دور الجماعة الفعال في تكوين الوعي الإبداعي، والذي ينشده من تلك النظرة².

اهتم جولدمان بدراسة بنية النص الأدبي دراسةً تكشف عن الدرجة التي يجسد بها النص بنية الفكر أو رؤية العالم عند طبقة أو مجموعة اجتماعية ينتمي إليها الكاتب، وعلى أساس أنه كلما اقترب النص اقتراباً دقيقاً من التعبير الكامل المتجانس عن رؤية العالم عند طبقة اجتماعية، يصبح أعظم تلاحماً في صفاته الفنية³.

¹ تيرى إيجلتون، الماركسية والنقد الأدبي، ترجمة جابر عصفور، ص 37-40..

² محمد خشفة، تأصيل النص (المنهج البنيوي لدى لوسيان جولدمان) الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري، 1997، ص 15.

³ محمد خشفة، المرجع السابق، ص 77.

لوسيان غولدمان إذ أنه اعتبر القيم الروحية الحقيقية لا تنفصل عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي، وقد استند على أن هذا الواقع له تأثير محوياً أن يدخل فيه الحد الأدنى من التضامن والوحدة (الجماعة) الإنسانية. معتبراً أنه لا بد وأن تكون هنالك علاقة بين الحياة الأدبية والحياة الاجتماعية.

العبقرية الإبداعية لغولدمان:

العبقرية المرتبطة بالإبداع الأدبي بالنسبة لجولدمان تشكل أهمية كبيرة إذ تكمن أساسياته في أن ليس هنالك تعريف واضح يقوم على قبول العبقرية لديه. بشكل واسع غير أن وجود أعمال أدبية، كأعمال دانتي، وشكسبير، وأعمال جوته التي يتجاوز مداها في بعدها العمل الأدبي، في ظروف سوسير تاريخية بالغة الدقة هيمنت على إبداعاتهم، قد فرض وجود تلك العبقريات بشكل لا يمكن نكرانه أو رفضه لدى النقاد والمؤرخين للأدب¹.

إن جولدمان يعتبر القطاع الثقافي مفضلاً له بدون شك، إلا أنه مع ذلك من الصنف ذاته الذي جميع قطاعات السلوك الإنساني فيه، والخاضع لنفس القوانين وخالصة ما يبحث عنه جولدمان في هذه العبقرية الإبداعية - هو جماع من العلاقات البنيوية بين الموقف التاريخي لمجموعة أو طبقة اجتماعية إلى بنية عمل أدبي، عن طريق رؤية العالم عند هذه المجموعة أو الطبقة ولا يكفي البدء بالنص أو العمل لكي ننطلق منها إلى التاريخ أو العكس. ولكي نحقق هذه الغاية يقول "تيري ايجلتون" فما يلزمنا هو منهج جدلي يتحرك دوماً بين النص

¹ محمد الإحسانيني، البنيوية التكوينية وإشكالية تخارج الإبداع مجلة الحوار المتمدن، العدد، 1723، 3/11/2006، ص3.

ورؤية العالم والتاريخ بحيث يكيف المنهج كل واحد منهما مع الآخر، وينظر إلى كل واحد منهما في ضوء الآخر¹.

بالرغم من أهمية الجهد الذي بذله غولدلمان، فإن هناك مجموعة من النواقص تحيط بمنهجه وهي بنظرنا لا تخفي عن المجتمع خاصة أنه طرح مفهوم الوعي الاجتماعي في فلسفة هيكلية مباشرة أكثر منها ماركسية، فهو ينظر إلى الوعي الاجتماعي بوصفه تعبيراً مباشراً عن الطبقة الاجتماعية، وعلى نحو يغدو معه العمل الأدبي تعبيراً مباشراً عن هذا الوعي والنموذج الذي يطرحه نموذج منهجي عاجز عن التوفيق بين الصراعات الجدلية والتعقيدات وبين التفاوت والانقطاع، أي بين كل ما يميز علاقة الأدب بالمجتمع. لذلك ينحدر المنهج في كتابه المتأخر "نحو علم اجتماع الرواية 1964" فيتحول إلى مجرد صياغة آلية لعلاقة البنية الفوقية بالبنية التحتية².

4 - المسار الفكري لبيير بورديو:

بيير بورديو Pierre Bourdieu (01 أغسطس 1930 الثالث والعشرون من يناير 2002) أحد أبرز الفلاسفة وعلماء الاجتماع المعروفين على الصعيد العالمي والعلمي، واحد من ضمن أعمدة فلسفة القرن العشرين حيث حضيت أعماله باهتمام واسع وترجمات لعدة لغات، استهل مشواره العلمي والمهني كأستاذ مساعد في الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة بين - 1958 و1960 قام في هذه الفترة من حياته العلمية بإنجاز مجموعة من التحقيقات الميدانية في علم الاجتماع، بمساعدة طلبة جامعيين وأساتذة جزائريين من بينهم

¹ تيرى إيجلتون، الماركسية والنقد الأدبي، ترجمة جابر عصفور، ص 37-40.

² تيرى إيجلتون، الماركسية والنقد الأدبي، المرجع نفسه ص 40.

مولود معمري (1917-1989) وهذا الأخير يرى على غرار بيير بورديو أن الأنثروبولوجيا يمكن جدا أن تكون "وسيلة وأداة للتحرر" وعبد المالك صياد (1933-1998) .

1.4 - السيرة الذاتية لبيير بورديو:

إن تقديم صورة واضحة المعالم حول السيرة الذاتية لعالم الاجتماع بورديو ليس بالأمر السهل أو الهين، خاصة وأن فلسفته كانت نتيجة تجربة مؤسسة على مأساة بفعل صدمة أو خلخلة أدت إلى توتر داخلي، يقول في هذا الصدد: "من نافلة القول أن يشار إلى أن التحول الذي علي أن أقوم به لكي آتي إلى علم الاجتماع لم يكن عديم الصلة بمساري الاجتماعي، قضيت الجزء الأكبر من نشأتي في قرية صغيرة منزوية بالجنوب الغربي من فرنسا"¹. إن هذا التصريح يدل على أن بورديو لم ينشأ بين ضفاف السان La Seine أو في أديرتة أو مدارسه العرقية، أو أنه كان صاحب لهجة باريسية متميزة تظهر بأنه ابن تلك المدينة التي لطالما كان سكانها البرجوازيين متعاليين على القرويين، بل على العكس من ذلك، كان ابن بلدة منزوية صغيرة في الجنوب الغربي الفرنسي، والواقع أن فكر بورديو وشيء من نتاجه الأكاديمي ينغرسان ببعض جذورهما ضمن تربة تجربة وجودية مريرة وكاوية ومؤلمة، تعود إلى سني مراهقته حين التحق بثانوية لوي-لوكران- ثم حين ولج المدرسة العليا للأساتذة في بداية الخمسينات.

ولد بيار بورديو في دينغن في سلسلة جبال البيريني الاطلسية من والد موظف. تزوج في 12نوفمبر 1962 وله ثلاثة أطفال درس في ثانوية بو Pau وفي ثانوية لويس لو قراند Louis-Le-Grand وفي كلية الأدب بباريس وبالمدرسة العليا للأساتذة وبعد حصوله على شهادة التبريز L'agrégation عين أستاذا بثانوية مولان Moulin في 1955 كما درس على التوالي في كلية الآداب بجامعة الجزائر (الجامعة المركزية حاليا المسماة بن يوسف بن خدة

¹ بيار بورديو و لوك جون دو فاكونت: أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الانعكاسي، ترجمة: عبد الجليل الكور، إشراف ومراجعة محمد بدودو، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، بدون طبعة، 1997 ص 156.

المتواجدة في شارع موريس أودان حاليا) في الفترة الممتدة ما بين 1958 و 1960 وجامعة ليل Lille بين 1961 و 1964 وابتداء من 1964 في المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية "Esss" Ecole Superieur De Sciences Sociales وفي سنة 1981 رسم في كرسي الأستاذية في علم الاجتماع بالكولاج دي فرانس College De France.¹

بدأ مساره العلمي دارسا للفلسفة ومدرسا لها في نفس الوقت، اشتغل مع لويس ألتوسير في (1918- 1990) في Normale superieur بعدما حصل على الاعتماد، الملفت للنظر هنا أنه استغل وجوده في الجزائر المستعمرة آنذاك للتعلم في علم الإناسة Anthropologies وعلم الاجتماع، وكانت حصيلة تلك التجربة علم اجتماع الجزائر La Sociologie De L'algerie.²

ليؤكد في ذات السياق في كتاباته أن ثمرة اشتغاله في ميدان البحث في الجزائر يعتبر ركيزة أساسية، وبالفعل لقد تمكن هذا العالم والمفكر الذي أجرى أبحاثه الإثنوغرافية والأنثروبولوجية Ethnographique Et Anthropologique المتميزة في جزء من المنطقة الأمازيغية "القبائل الكبرى" إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية للجزائر وبعدها، من إدخال تعديلات وتغييرات حاسمة على مفاهيم الحقل السوسيولوجي Le champ sociologique.

كما يقول: "إن أغلبية المفاهيم التي أطرت أعماله في علم اجتماع التربية وعلم الاجتماع الثقافي ولدت من تعميم نتائج أعماله الإثنولوجية والاجتماعية التي أنشأتها في الجزائر"³. إن المجتمع الجزائري كان بمثابة كونسارفتوار مفتوح لبيار بورديو، منتج أو بالأحرى ميدان خصب لولادة وصياغة النظريات الاجتماعية، وعليه نستطيع القول بأن تجربة بورديو في الجزائر قد منحتة أفقا فكريا جديدا، استعمله لنقد بعض المسلمات النظرية

¹ عبد الكريم بزاز: علم اجتماع بار بورديو، دراسة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، اشراف: نورالدين بومهرة، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية، 2006-2007 ص15.

² بينتو لويس: نظرية العالم الاجتماعي عند بيار بورديو، ترجمة: محمد أمطوش، الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2014 ص7.

³ Pierre Bourdieu : Choses Dites, Paris, Edition De Minuit, 1997 Page 34.

الأوروبية، التي تعتقد أن فكر السكان الأصليين أو الأهالي الخاضعين للدراسات في الفضاءات الاستعمارية يحملون فكرا خارج عن حيز المعقولة أو غير العقلاني، وبالفعل أن تكون ناقدا للسلطة آنذاك ليس بالعمل الهين بل هو تحد للمركزية الغربية بأسرها، خاصة في ظروف الاحتلال، وهذا الفعل يعتبر إنجازا أو نقلة نوعية داخل خطابي الإثنوغرافيا الأوروبية والسوسيولوجيا الغربيين.

إن البناء النظري والفلسفي لا يصاغ أبدا من خواء أو فراغ اجتماعي، فكل صرح علمي لابد أن ينسج ضمن سياق خاص يقوّل الإشكاليات، بمعنى أن الثراء المعرفي والزخم الفكري لبورديو لم يخلق من العدم، وهذا ما ترجمته لنا سيرته الأكاديمية وانتاجه الفكري، سواء في ميدان الفلسفة أو علم الاجتماع، ونذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر كتبه التالية: سوسيولوجيا الجزائر 1961، الجزائريون 1962، العمل والعمال في الجزائر 1963، الإقتلاع 1964، الطلاب وتعليمهم 1964 الورثة-الطلاب والثقافة- 1964 حب الفن، وإعادة الانتاج في سنة 1970 مختصر نظرية الممارسة وغيرها من الكتب الكثيرة المهمة، التي لا تقل أهمية في فضاء الفلسفة المعاصرة، يقول بينتو لويس في هذا الصدد: « سواء تعلق الأمر باقتراحات إبستيمولوجية للممارسات المعرفية أو بعلم اجتماع جديد للممارسات العادية، التي تعكس مواقف بورديو النقدية وتعبر عن الاختيارات النظرية والأنطولوجية حول ماهو مجتمعي¹.

إن أعمال بورديو تفتح المجال أمام الباحثين سواء في ميادين الفلسفة أو علم الاجتماع وتضعهم أمام تساؤلات وإشكاليات وأيضاً تحديات، فهي تتحدى المؤسسات الأكاديمية كإعادة إعادة وصياغة أنثروبولوجيا حقيقية، فالملاحظ عند إمعان النظر في مؤلفاته ومقالاته وحتى ندواته التي كان يجريها في مركز علم الاجتماع الأوربي وأيضاً

¹ بينتو لويس: نظرية العالم الاجتماعي عند بيار بورديو، مرجع سابق، ص 8.

مشرفا على مجلة أعمال البحث في العلوم الاجتماعية منذ لحظة تأسيسها في سنة 1975، نستشعر توجه أبحاثه تجاه اتجاهات عديدة، فالمتعمن في مؤلفات بورديو يجد صورة تحمل إبستمولوجيا متشعبة تخترق كل الحقول والميادين من طبقات الفلاحين والمزارعين وصراعاتهم مع مختلف أشكال السمات والهيمنة، إلى الفن وحبه وقواعد عمله، إلى القانون المستند الخفي للسلطة فالعلم والأدب وتحليل أشكال القرابة والطبقات بجميع مظهراتها، ثم نجد كلا من الدين والسياسة وحتى الرياضة والكلام والمتقنين والدولة، ليشكل في الأخير مشاهد فلسفية عميقة تستند على متكى فلسفي وسوسيولوجي وبقية أنثروبولوجية متجانسة.

تتمحور كل فلسفة بورديو حول فكرتين منفصلتين ألا وهما آليات الهيمنة والتحكم من جهة، ومنطق ممارسات الأعوان الاجتماعيين داخل الفضاء الاقتصادي، من جهة أخرى الذي تفقد فيه فرص التساوي وتكثر فيه الصراعات والنزاعات، وكل أعماله سعت إلى تقديم إضافات وتحليلات عميقة واستدلالات غنية بالإشكاليات والمفاهيم، تثري مجالات علم الاجتماع السياسي المعاصر والأنثروبولوجيا والفلسفة بطبيعة الحال.

2.4- الانتماء الفكري والفلسفي:

لقد عايش عالم الاجتماع بورديو فترة كان الفكر السارتري براديجما مسيطرا على الحقل الثقافي الفرنسي آنذاك، بالإضافة إلى الفيلسوف الفرنسي موريس ميرلوبونتي (1908-1962) الذي أحدثت فلسفته وقعا كبيرا على اتجاهات الباحثين، بحيث اعتبر مرجعية لجيل برمته، وعنوان هذا الإطار الرؤية الوجودية للعالم المشتغلة باستكشاف معنى الوجود والظواهر، وفي نفس الوقت المهمة بأسئلة الحقل والسلطة السياسيين، وكانت الإشكالية الكبرى هنا تتمفصل حول تشكيلة خطابية أركانها الجوهرية والأساسية فلسفة الذات والحرية والالتزام¹.

¹ عبد الجليل بن محمد الأزدي: بيار بورديو الفتى المتعدد والمضيق، (مراكش: مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، فيبرابر، 2009 ص 14).

وبالموازاة مع ذلك ظهر فلاسفة كبار يهتمون بمنطق المعرفة وفلسفة العلوم وتاريخ العلم من أمثال: غاستون باشلار، (1884-1962) الذي كرس جزءا كبيرا من حياته وعمله لفلسفة العلوم وقدم أفكارا متميزة في مجال الإبستمولوجيا، حيث تمثل مفاهيمه العقبة المعرفية والقطيعة المعرفية والجدلية المعرفية والتاريخ التراجعي، مساهمات لا يمكن تجاوزها، بل تركت آثارها الجلية في فلسفة معاصريه ومن جاء من بعده؛ مثل الكسندر كويري Aleksander Koyre (1892-1964) الذي ولد في روسيا وتوفي في فرنسا مؤرخ من أصل روسي يهتم بالفلسفة والعلوم.

إذا تمحورت إشكالياتهم بصورة عامة حول قضايا المنهج، والمصطلح والعقلانية وفلسفة العلم وقراءته تاريخيا مما أدى إلى ظهور أسئلة إبستمولوجية كبرى في الخطاب العلمي والفلسفي المعاصر¹.

وإذا عدنا إلى بورديو، ضمن هذا السياق، نجد أنه لم يكن على اتفاق دائم بين كلا التوجهين، فقد وظف انتسابهما النظري والمنهجي واستثمرهما وفق رؤيته الخاصة، أي مع ما يتلاءم مع منظوره للقضايا، بحيث يضمن القطيعة معهما أو يقوم على الأرجح بتصحيح جوانب النقص فيهما أو استكمالها وإصلاح ما ينبغي إصلاحه. علاوة على ذلك استثماره للمفاهيم التي قدمتها إنجازات هؤلاء الفلاسفة محاولا، التعامل مع النصوص الكبرى التي تساعد في دراسة الواقع وقضاياها السوسيولوجية، حيث استعمل مفهوم القطيعة La Rupture وهو مفهوم بشلاري بامتياز، في حديثه عن ماركس والماركسية، مؤكدا ضرورة استكمالها وتجاوزها عبر ترميم ثغراتها بشيء، من خلال أعمال عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (1848-1920) مع استكمال الأخير بدوره عبر ترصيع روحانيته المفترضة بأشياء من مادية ماركس المعروفة بالجدلية التاريخية.

¹ محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: العقل والعقلانية، (المغرب، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية،) 2007 ص 19-20.

الفصل الأول.....بيير بورديو رائد البنيوية التكوينية

لقد بنى بورديو مفاهيمه العلمية على قاعدة إبستمولوجية منسجمة الطرح تستند إلى علماء السوسيولوجيا السابقين أو المؤسسين وهم على التوالي: كارل ماركس وماكس فيبير وإيميل دوركايم، إضافة إلى التفكير النقدي المستل والمستخلص من رواد مدرسة التحليل النفسي مثل سيغموند فرويد Sigmund Freud 1856-1936 وإيريك فروم Fromm Erich 1900-1980 ، وكارل غوستاف يونغ 1875-1961 و فلاسفة مدرسة فرانكفورت نذكر منهم تيودور أدورنو Theodor W. Adorn وماكس هورك هايمر Max Horkheimer ، وهيربيرت ماركيز والأب الروحي للوجودية الفرنسية جون بول سارتر Jean-Paul Sartre ورائد المدرسة التحليلية لودفيج فتغنشتين Ludwig Wittgenstein وبطبيعة الحال المدرسة البنيوية، يستوحي منهم المناهج والمفاهيم مع إعادة بنائها ومفهمتها محدثا بذلك التجاوز.

المقارنة
السوسيولوجية عند
بيار بورديو

الفصل الثاني

1- المرجعية الفكرية والمعرفية لبيير بورديو.

2- نقد بورديو للتيارات السوسيولوجية
المضللة.

3- البنيوية والمقارنة السوسيولوجية.

سعى بيير بورديو إلى الارتقاء بالبحث السوسيولوجي إلى أعلى المدارج العلمية، وأرقاها بدأ من العائلة التي يصفها كأولى مؤسسات إعادة الإنتاج الخاصة بالعلاقات التي تخدم الهيمنة والسيطرة، وصولاً إلى أكثر الأشياء تركيباً وتعقيداً كالدولة.

ولفهم خصوصية أعمال بورديو يتوجب في البدء إظهار مميزات هذا العالم والسياق التاريخي والنظري الذي أثر في مساره، وفي تصوره لعلم الاجتماع، كما سنشير إلى المرجعيات الفكرية التي ساهمت في بناء مختلف آرائه، وبما أنه خريج فلسفة المابعديات، مثل ما بعد الحداثة، وما بعد الماركسية، وما بعد البنيوية، والتفكيكية وما بعدها، خاصة أن للرجل دوراً كبيراً في تحويل المدرسة السوسيولوجية إلى أخرى محدثة معاصرة، تعتمد في معالجتها للقضايا الكبرى على أبحاث وإسهامات الأنثروبولوجيا المابعد كولونيالية، وهنا التحول من السوسيولوجيا إلى الأنثروبولوجيا بالمعنى المحدث للكلمة.

1- المرجعية الفكرية والمعرفية لبيير بورديو:

شارك بيير بورديو في عدة مجالات (الفلسفة ، الاقتصاد، العلوم الاجتماعية ، تحليل اللغة ...) إلا أن إنتاجه السوسيولوجي الغزير جعله يتموضع تحت شارة السوسيولوجيا. فتصوراته قدمت سوسيولوجيا نقدية لغرض التغلب على الأزمة التي عاشتها السوسيولوجيا. حيث طور التصورات التي طرحها كارل ماركس واستبعد التصورات المحافظة التي قدمها إميل دوركايم مع الاعتماد على جانب من تصورات ماكس فيبر و بناها بطريقة مبدعة .

1.1 - كارل ماركس:

لقد كان لبيار بورديو علاقة عملية نفعية جدا مع بعض المؤلفين بحيث يلجأ إليهم كرفقاء Camerades يقول بورديو: من جهتي لدي مع المؤلفين علاقة براغماتية جدا؛ ألجأ إليهم كـ"رفقاء" في المعنى التقليدي الحرفي والذي يمكن أن نطلب منهم مساعدة في الوضعيات الصعبة (...). (إن الكتاب ماركس وفير ودوركهايم (...)) يمثلون معالم تؤطر فضاءنا النظري واد اركنا لهذا الفضاء.¹

لقد أخذ بوريو من عدة مرجعيات فلسفية، وبنى وجهته بالأخذ والنقد والتجاوز، واقتحم بذلك حقول العلم والدين والتاريخ والسياسة وحاول تطوير نظرياته عبر التأسيس لعلم اجتماع ملتزم.

من الجلي أن علم اجتماع ماركس مؤسس على ترسانة من المفاهيم التي يستلزم علينا استحضارها لكي نفهم خصوصية الصياغات التي قام بها بورديو مع النسق الماركسي.

إذا ما عدنا إلى ماركس نجد أن أسلوب إنتاج الرأسمالي يتميز بصراع الطبقات القائم بين الطبقة البرجوازية والبروليتارية الأولى تستحوذ على وسائل الإنتاج، والثانية لا تملك سوى قوة عملها لتبيعها، وبناء عليه تنتج سيطرة اقتصادية وسياسية واجتماعية وبطبيعة الحال إيديولوجية على طبقة العمال تخدم مصالح الطبقة المهيمنة.

وفي ظل هذه الظروف ينتج ما يسمى بالوعي الزائف la Fausse Conscience حيث تساهم البروليتاريا في استغلال نفسها بقبول تمثيلات خاطئة للعالم التي تقترحها، أو إن صح القول تفرضها البرجوازية، إلا أن ذلك لن يؤدي إلى استقرار الأوضاع لأن الوعي بالاستغلال سيؤدي بالطبقة العاملة إلى إحداث الثورة البروليتارية التي تهدف إلى قلب البرجوازية وهذا يستلزم الانتقال من الطبقة في ذاته، أي تجمع أفراد يشغلون موقعا متشابها في علاقات

¹ Pierre Bourdieu: Choses Dites, Paris, Edition De Minuit, 1997 Page 39.

الإنتاج إلى "طبقة لذاتها"، محددة وواعية بمصالحها يعلق بورديو على أطروحة ماركس من خلال قوله: « إن الطبقات النظرية التي أجدها مؤهلة أكثر من تقسيم نظري آخر مثل التقسيم حسب العرق، لأننا نصبح طبقات بالمعنى الماركسي للكلمة لو كنت زعيما سياسيا وأطرح على نفسي عمل حزب يجمع أرباب العمل والعمال معا، لكان حظي قليلا في النجاح لأنهم بعيدون عن بعضهم في المجال الاجتماعي، يمكن لهم أن يتقاربوا في ظروف خاصة في غمار أزمة وطنية على أساس النزعة القومية، ولكن هذا التجمع يبقى سطحيا».¹

يظهر هنا أن تحليل بورديو مطبوع بعدد متنوع من المرجعيات وفي نفس الوقت القطاعات تجاه التفكير الماركسي التقليدي، الذي يتحدث عن تعريف الطبقات الاجتماعية وعن كيفية اشتغال آليات الهيمنة، ليفهم هنا من هذا التفسير أن إرجاع المادة كمحرك صرف للأمر المبنية على أساس وصراع طبقي ليس بالضرورة، فقد تظهر طبقات أخرى برزت على أبعاد مختلفة تسمح لظهور الصراعات مثل: النزاع العرقي أو القومي خلافا للتفسير الماركسي المبني على البعد الاقتصادي المادي فقط، فبورديو لا يؤيد الطرح الماركسي في فكرة الطبقات ليؤكد ذلك بقوله: « إذا الاختلاف موجود وصامد (الاختلاف الذي أعبر عنه عندما أتحدث عن المجال الاجتماعي) ولكن ينبغي لذلك قبول وتأكيده وجود الطبقات؟ الطبقات الاجتماعية لا توجد، حتى ولو أمكن للعمل السياسي الذي توجهه نظرية ماركس أن يساهم في بعض الحالات في إيجادها على الأقل من خلال آليات التعبئة والمفوضين».²

¹ بيير بورديو: أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة، ترجمة: أنور مغيث (الجمهورية الليبية: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 1996 الموافق لـ 1425 هـ ص 34-35.

² بيير بورديو، المصدر نفسه، ص 36.

إذا، يستبدل هنا بورديو فكرة الطبقة أو مفهوم الطبقة بمفهوم آخر هو المجال الذي يحتوي على شبكة من العلاقات المختلفة بين أعوانه (أفراده)، من جهة وتشابههم من جهة أخرى، «إن بناء نظرية حول الفضاء الاجتماعي تفترض جملة من القطاعات مع النظرية الماركسية، قطيعة مع النزعة التي تريد تفضيل الماهيات، ويتعلق الأمر هنا بالمجموعات الحقيقية التي نزع تحديد عددها وحدودها وأعضائها على حساب العلاقات، مع الوهم الفكري الذي يريد أن يعتبر الطبقة نظرية مبنية من طرف العالم كطبقة حقيقية أي جماعة مجندة فعلا، ومع النزعة الاستعمارية التي تذهب إلى حصر الحقل الاجتماعي، وهو حقل متعدد الأبعاد وهكذا فإنها تبني علم اجتماع أحادي البعد»¹. يعني هنا بوضوح القطيعة مع المقاربة الماركسية التي تتم بين التعريف الماركسي للطبقات والذي لطالما طبع بالتصور الاجتماعي المادي وبين ذلك الذي يمنح القيمة، ويثمن العلاقات والهيئات الرمزية، حيث يكون مفهوم الصراع الطبقي غنيا بالصراعات الرمزية، وفق معايير التصنيف وحسب بورديو: «استبعد ماركس من نمودجه الحقيقة الذاتية للعالم الاجتماعي والتي طرح ضدها الحقيقة الموضوعية لهذا العالم كعلاقة قوى، بينما إذا قلص العالم إلى حقيقته المتمثلة في علاقات القوى وان لم يكن إلى درجة ما معترف بت كشرعي وهذا لن يحدث، إن التمثل الذاتي للعالم الاجتماعي كشرعي هو جزء من الحقيقة الكامنة لهذا العالم²»، ومن هنا نلاحظ الإنجاز الذي قدمه بورديو والمتمثل في قراءة ماركس اهتداء بغير ويقارب هذا الأخير استرشادا بماركس، قصد استكمال أحدهما بالآخر. وعليه فإن المقاربة البوردبوية للماركسية تستحضر بقوة تدخل المقاربة الفيبرية في تحليلها.

¹ Pierre Bourdieu: Espace Social Et Gens D Classe, A, R, Ssn, 1984, Page 52-53.

² Pierre Bourdieu : Question De Sociologie, Edition Minuit, Paris 1980, Page 25.

2.1- ماكس فيبر:

من المعروف أن ماكس فيبر (1864-1920) قد مارس تأثيرا قويا على أسس السوسيولوجيا المعاصرة، وذلك من خلال تصديه لأطاريح ماركس في مسألة " العامل الاقتصادي" المحدد في نهاية المطاف وفي إطار هذا السياق ذاع صيته خاصة بعد كتابته مقالا شهيرا نسب له بعنوان " الأخلاق البروتستنتية والعقلية الرأسمالية" ¹1901 التي حاول فيها الاستدلال على الممارسات الخطابية لمقولات كل من العقيدة البروتستنتية، والكالفنية بصفة أخص، من آثار عميقة وقطعية داخل تطور نمو النظام الاقتصادي الرأسمالي.

احتفظ بورديو بدور التمثلات (البعد الرمزي) في تحليل الخطاب السوسيولوجي وبمفهوم الشرعية، يعرف ج.ك درويان علم الاجتماع قائلا: « نسمي علم الاجتماع العلم الذي يريد أن يفهم بالتأويل الأفعال الاجتماعية ويفسر بطريقة نسبية مجرياتها وآثارها، كما يعنى كذلك بأفعال النشاطات الخاصة بالسلوكيات الإنسانية أي الأفعال التي من خلالها يتوجه إلى المعنى المستهدف من قبل العون أو الأعوان ويتعلق أيضا بسلوك مع الآخرين والذي في مقابله يتم فعله»²، هذا المفهوم الدقيق لعلم الاجتماع يعطي أهمية كبرى للبعد الرمزي ودوره في فهم وتفسير الظاهرة الاجتماعية وهو موضوع لطالما تحدث عنه ماكس فيبر وأخذ عنه كثيرا بورديو، فالفعل الإنساني يتم وفق منطق يتوجب فهمه حتى يصبح ذا معنى، فالسلوكيات الإنسانية لها خصوصيتها وهي تفتح باب التأويل والفهم على مصرعيه.

¹ عبد الجليل بن محمد الأيزيدي: بيير بورديو الفتى المتعدد والمضياف، مرجع سابق، ص18.

² J.-C. Dorian, Les Grands Auteurs En Sciences Sociales, Pub, Paris 1996, P 19.

أما إذا عدنا إلى المفهوم الآخر المستمد من فلسفة فيبر، والمتمثل في "الشرعية" "la Légitimité" الذي يعد أساس قيام السلطة السياسية دون أن تلجأ لضرورة استعمال القوة للعنف والإكراه، ويرجع السبب في مفهومها أصلاً الذي يعرف في معناه العام بوصفها صفة لما هو مقبول ومعترف به من قبل أعضاء من المجتمع، ويميز فيبر بين ثلاثة أنماط من الشرعيات: التقليدية أو الزعامية، والقانونية. وبالنسبة لبورديو فهو يبحث في كيفية تحديد الآليات التي تؤدي بالمهيمن عليهم إلى قبول الهيمنة في مختلف مظهراتها وأشكالها، ولماذا يندمجون فيها ويشعرون بالتضامن مع المسيطرين في إجماع واحد وحول الوضع الراهن، أضف إلى ذلك الشرعية التي هي واردة في عملية الشرعنة كمعطى متأصل جعل الممارسة التي تصدر عن السلطة القانونية، ولها مستند قوي يدعمها وهي التي أصبحت مركز التساؤل عند بورديو، ويتعلق الأمر بإظهار الكيفية التي ينتج الفاعلون الاجتماعيون الشرعية، باعتبارها رأسمال رمزي قابل للاستثمار من أجل أن يتم الاعتراف بكفاءاتهم أو بالسلطة التي يستحذون عليها.

3.1 - إيميل دوركايم:

ومن بين أهم الروافد الفكرية التي شكلت النسق البورديوي أعمال عالم الاجتماع الفرنسي دفيد إيميل دوركايم David Emile Durkheim (1857-1917) وهو من كبار مؤسسي مدرسة علم الاجتماع في فرنسا¹، فقد كانت إسهامات دوركايم جد حاسمة بالنسبة لبورديو فهو يجد ضالته داخل هذا التقليد الأكاديمي العريق خاصة وأنه قد حظي بشرف تأسيس علم الاجتماع وهو ما يفترض مسارا ومنهجاً نو طابع خاص. ومنه لفهم هذا التأثير أو الإسهام لابد من التذكير بالمبادئ الأساسية للمقاربة الدوركايمية.

¹ جينيفر م. ليمان: تفكيك دوركايم، ترجمة: محمد أحمد عبد الله، مراجعة محمود الكردي، تقديم: محمد حافظ دياب القاهرة، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2013 ص 11-12.

يعرف علم الاجتماع عند إيميل دوركايم كدراسة للظواهر الاجتماعية أو كطريقة فعل ثابتة وتتمارس على الفرد قصرا خارجيا يعني أن موضوع علم الاجتماع هو الكشف عن هذه الضغوط لتفسير سلوك الأفراد؛ بالإضافة إلى أن علم الاجتماع يفرض على العلماء التعامل معه وفق منهج كما وضح ذلك دوركايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع Les Règles de la Méthodes dans la Sociologie ومن أبرز أفكاره : « يجب إعتبار الظواهر الاجتماعية كأشياء أي التعامل معها بمنطق الأشياء، مما يعني ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية من الخارج بنفس منظور الفيزيائي الذي يلاحظ الظاهرة الفيزيائية، هذه المقاربة تسمى بالوضعية Positivisme وهي ببساطة تبني موقفا منهجيا يضع العلوم الإنسانية في المسار العلمي الذي تتبناه العلوم التجريبية¹.

إن تفسير الظواهر تزامنا مع نسيج الحياة الاجتماعية، هو ما يمكن تسميته بالوعي الجمعي، حيث يقوم هنا دوركايم بحملة على مختلف الظواهر والسلوكيات الإنسانية بما فيها الفعل الأخلاقي، فالغايات الأخلاقية هي التي تتخذ من "المجتمع هدفا"².

يبدو أن المسألة جد حاسمة عند دوركايم في مسألة تفسير الظواهر الاجتماعية التي يرى أنها تفسر بالظواهر الاجتماعية حيث يقول: « إن السبب الحاسم لظاهرة اجتماعية لا بد من البحث عنه ضمن الظواهر الاجتماعية السابقة وليس بين حالات الشعور الفردي³»، يعني أنه لتفسير سلوك ما، يجب البحث عليه داخل الضغوط الخارجية التي تمارس ثقلها على كاهل الأفراد، أي لا يمكن العودة أو الاستعانة بالمحددات البيولوجية المسبقة المكونة للفرد مثل الوراثة أو السيكولوجية كالعقد النفسية المستعصية، أو حالات الإحباط والاكئاب وغيرها من ذلك أخرى تتخطى البعد البيولوجي والبعد السيكولوجي بمعنى أوضح أن دوركايم فسر الظاهرة الاجتماعية مهما كانت إلى البعد الاجتماعي.

¹ عبد الكريم بزاز: علم الاجتماع بيار بورديو، مرجع سابق، ص 30.

² إيميل دوركايم: التربية الأخلاقية، ترجمة: محمد بدوي، (مصر، مكتبة مصر، بدون طبعة، ص60).

³ Emile Durkheim, les Règles De La Méthode Sociologique, Puff, Pris, 1984, Page 40.

شاطر بورديو دوركهايم اقتراحه بالإستعانة بالمنهج المقارن القائم على معطى ثابت وهو "نفس الأسباب تتجر عنها دائما نفس الآثار" ولكن تجنب بورديو فخ الوضعية والكونية اللزمنية، ويتمثل المنهج المقارن عند دوركهايم في دراسة علاقات الارتباط الإحصائية بين المتغيرات لاستخراج القوانين التنبؤية المتعلقة بالظواهر، مثل: ملاحظة الأشياء في سياق الحادثة الاجتماعية أو بعبارة أخرى هذه المنهجية تسمى بالأساس الموضوعاتية، التي تهدف إلى البحث عن القوانين الموضوعية التي تتحكم في الواقع الاجتماعي بحيث تكشف عن نظام مستتر للفوضى الظاهرية للحياة الاجتماعية (قانون الاطراد أو تكرار الحوادث) بمعنى استجلاء التكرارات والإنتظامات بدلا من صياغة القوانين.¹

« وبحكم أن دوركايم كان يدعو إلى دراسة الظواهر الإنسانية باعتبارها أشياء، حيث حاول جاهدا الاستناد إلى أدلة علمية ومادية، يحضرنا نص له في كتابه التربية الأخلاقية: فمزج النحاس بالقصدير يتكون معدن جديد له صفة تختلف عن ذلك كل الاختلاف وهو البرونز المعروف بصلابته وتطبيق القاعدة على الإنسان وعلى المجتمعات²». فأكيد أن صناعة الفرد وضميره خاصة تبنى داخل الوعي الجمعي وهو نتيجة لمجموع العلاقات التي تحدث اتصالات فيما بينها، فتظهر مفاهيم وعواطف تتسم بالجدة لم يكن لها من إمكانية للظهور والتجلي داخل الإطار الضيق للضمائر الفردية المنفصلة.

نلاحظ هنا أنه كانت مجموعة من المميزات التي لا بد من الإشارة إليها في تكوين فكر وفلسفة بورديو، بمعنى التيارات التي تأثر بها ممن كان لهم السبق في البحث والتأسيس والبناء النظري لعلم الاجتماع، وكأن كل شيء يمهد ويعزز تحويل مساره من الفلسفة إلى علم الاجتماع بمعناه المعاصر وهذا تتويجا لعملية مدروسة متدرجة من مرحلة إلى أخرى،

¹ عبد الكريم بزاز: علم اجتماع بيير بورديو، مرجع سابق، ص 31.

² إميل دوركايم: التربية الأخلاقية مرجع سابق، ص 61.

ينميها ويعززها عدم الرضا الناتج عن الأجوبة التي أعطتها النظريات الفلسفية الكبرى ذات القاعدة السوسولوجي لتساؤلاته واستشكالاته، فأعماله هي نتاج إعادة قراءة نقدية للتساؤلات على كل من الأصعدة الأنثروبولوجية، وخاصة منها ذات الطابع التقليدي وكذا السوسولوجي، حيث تشكل وعي وإرادة في القطيعة والتجاوز عنده، كانت مبشرة بظهور البنيوية النسوية أو التكوينية وفي مراجع أخرى الوراثة Structure Genetique بطبيعة الحال هذا التيار لم يظهر فقط كتيار محدث بالمعنى التجديدي للكلمة، ولكن كذلك في بعض ممارساته ومقولاته يحمل خطابا تحريزيا، وفي هذا الصدد يصير علم الاجتماع علما مزعجا يقض مضاجع السلطة في مختلف أماكن تواجدها داخل الجسد الاجتماعي.

2- نقد بورديو للتيارات السوسولوجية المضللة :

يقدم علم اجتماع بيار بورديو وكأنه محاولة لتجاوز بعض الاختلافات الموجودة بين علماء الاجتماع، فهو يستلزم إذن استنادا إلى هذا المنطق نقد هذه المقاربات ومن بين هذه الخلافات الخلاف الموجود بين أنصار المقاربة الموضوعية OBJECTIVISTE أو الموضوعية وأنصار المقاربة الذاتية SUBJECTIVISTE الموضوعاتية تعتبر أن "الظواهر تتحدث بنفسها" وتتزع نحو الأمبيريقية، والمهمة الوحيدة لعالم الاجتماع تكمن في تسجيل الظواهر بصفة سلبية . وهي عبارة عن اتجاه فكري يتمثل في البحث المنتظم عن القوانين الموضوعية المتحركة في الواقع الاجتماعي كما هو الحال بالنسبة للقوانين التي تتحكم في الواقع الطبيعي.¹

¹ المرجع السابق، عبد الكريم بزاز.

إن مفهوم الموضوعية يجب أن يفهم هنا على أن الواقع مستقل عن الفكرة وعن التمثل والضمائر الفردية للفاعلين. ويتعلق الأمر إذن بطريقة مأخوذة من العلوم الطبيعية و الفيزيائية . وفي علم الاجتماع تتمثل هذه الطريقة في البحث عن القوانين الموضوعية المتحكمة في كل السلوكات البشرية بمعزل عن الفاعلين وعن تمثلاتهم، ويتم هنا الإلحاح على الحتميات التي تضغط من الخارج على الفاعلين. الأفراد يصبحون لعبة في يد البنى كما هو الحال في بنيوية الأنثروبولوجي كلود ليفي ستروس C.LEVI-STRAUSS أو كذلك في التحليل الماركسية للويس ألتوسير¹.

وفي المقابل فإن الذاتوية هي النزعة التي تفضل الفردي والتي تمركز التحليل على الفاعل وخاصة على شخصيته المحددة كمجموعة فريدة من المواهب والفضائل والصفات والعيوب . في علم الاجتماع تظهر الذاتوية في شكل نظريات فردانية INDIVIDUALISTE يمكن أن تأخذ أشكالاً مختلفة وكلها تلح على مفهوم حرية الفرد وتؤكد بالتالي أن الفرد يفلت من كل حتمية.

أما فيما يخص المناهج، فعلى عالم الاجتماع أن يحذر من الاستعمال غير المتاح فيه لتقنيات جمع البيانات . كل وضعية بحث ميداني قائمة على علاقة بين باحث ومبحوث، إلا أن هذا التبادل ليس بحديث عادي: فهو يخلق اتصالاً بين فردين لهما مواقع اجتماعية مختلفة ويتمثل إذن في تفاعل يتم تحت ضغط البنى الاجتماعية وإذا نسينا هذا المظهر فهذا يعني أننا نجهل العنف الرمزي الذي يمكن أن يحدث بين المتحدثين، يملك أحدهما الشرعية المرتبطة بالعمل العلمي والآخر يوجد في وضعية الملاحظ والمبحوث.

¹ عبد الكريم بزاز: علم اجتماع بيير بورديو، مرجع سابق.

إن بنية التفاعل تحمل الآثار الاجتماعية التي يخشى أن تؤثر في الإجابات وبالتالي فإن النتائج المتحصل عليها يمكن أن يكون عبارة عن أوهام، بمعنى ظاهرة اصطناعية منتجة من قبل الباحث نفسه من خلال غياب مراقبة المنهج أو/والعمل الميداني. فعندما نسأل أفرادا حول مواضيع ليس لهم فيها أية كفاءة ونطرح عليهم أسئلة لم يطرحوها أبدا على أنفسهم ، فإننا ننشر أثر فرض الإشكالية. ومع ذلك فإن المبحوثين يعطون أجوبة ويقوم عالم الاجتماع بتحليلها - عن باطل - وكأنها تعبير عن آرائهم الشخصية¹.

1.2 - بورديو ينقد بصفة صريحة وضمنية التيارات السوسبولوجية الأخرى:

وكما بينا ذلك فإن علم الاجتماع تخترقه عدة تيارات. وفي هذا السياق ، والتأكيد على خصوصية مقارنة معينة يؤدي حتما إلى إعادة النظر في النظريات الأخرى ، لأن تنوع المسلمات والطرائق يفرق بين علماء الاجتماع.

« إن علم الاجتماع في وضعيته الحالية هو علم له طموحات كبيرة جدا وأن طرائق ممارساته متنوعة بكثرة. يمكن أن يحمل اسم "عالم اجتماع" أشخاص يقومون بتحليلات إحصائية والبعض الآخر يقوم بصياغة نماذج رياضية وآخرون يصفون وضعيات حقيقية ... وكل هذه الكفاءات نادرا ما نجدها مجتمعة في شخص واحد. وأن أحد أسباب هذه الانقسامات والتي نحاول أن نؤسسها في شكل تعارض نظري هو أن علماء الاجتماع يزعمون فرض (كطريقة وحيدة وشرعية لممارسة علم الاجتماع) الطريقة التي هي في متناولهم وبالتالي فهم يحاولون فرض تعريف جزئي لعلمهم»².

وهكذا فإن حقل علم الاجتماع كأبي حقل هو محل صراعات: رهانها هو الحصول على موقع علمي مسيطر وفرض تعريف موحد للممارسة السوسبولوجية.

¹ لويس بينتو: نظرية العالم الاجتماعي عند بيير بورديو، ترجمة : محمد أمطروش، عالم الكتاب الحديث، ط1 ، الأردن 2014 ، ص 198.

² P. B. CHOSSES DITES MINUIT PARIS 1987 P 48.

2.2 - بورديو ينقد الاستعمالات المضللة لعلم الاجتماع:

إذا كان علم الاجتماع يبدو متنوعا من خلال نماذجه ومناهجه ، يمكن كذلك أن يكون موضوعا لتمييز حسب الوظائف الاجتماعية التي تؤديها وهكذا وحسب بورديو يمكن أن نميز بين علم اجتماع محافظ مهمته تكمن في إبقاء وضمان النظام الاجتماعي وعلم اجتماع الذي يمكن أن نصفه بـ "التحرري".

«إن جزءا كبيرا من الذين يسمون أنفسهم علماء اجتماع أو اقتصاديين هم مهندسون اجتماعيون تكمن وظيفتهم في إعطاء وصفات لمسئولي المؤسسات الخاصة والإدارات. فهم يعقلنون المعرفة العملية أو شبه العلمية التي يحملها أعضاء الطبقة المسيطرة حول العالم الاجتماعي. إن الحكام هم في حاجة اليوم إلي علم قادر على عقلنة RATIONALISATION - في المعنى المزدوج - الهيمنة وقادر في ذات الوقت على تدعيم الآليات التي تضمن الهيمنة وتمشعرها. ومن البديهي أن هذا العلم يجد حدوده في وظائفه العملية سواء عند المهندسين الاجتماعيين أو عند قادة الاقتصاد كذلك ، وهذا العلم يستحيل عليه القيام بمراجعة جذرية»¹.

إن انتقادات بيار بورديو تأخذ نادرا شكل الجدالات الاسمية ولكن نلاحظ من خلال مقالاته وكتاباتاته أن المسلمات النظرية أو مناهج بحث هذا التيار أو ذاك قد أعيد فيها النظر أو انتقدت وهكذا نلاحظ أن بورديو يقوم بنقد بعض الدراسات في علم الاجتماع التنظيمات أو علم اجتماع المؤسسات . ويرى بأنها لا تهدف سوى إلى تأسيس من خلال مقارنة تنتسب إلى العلم ، مناهج لتسيير "الموارد البشرية" أو لتنظيم العمل والتي يكمن هدفها في نهاية الأمر في المساهمة في تأويل نتائج المؤسسة أو الإدارة .

¹ HOMO ACADEMICUS P 24.

ومقاربات ميشال كروزيه CROSIER M مستهدفة من خلال هذا الخطاب وكذلك الحال بالنسبة لنوع من علم الاجتماع السياسي الذي لا يفلت بدوره من هذا النقد: علم الاجتماع السياسي الذي يهدف إلى استدامة أيديولوجية الديمقراطية بتجاهل حدودها والذي يدرس في مؤسسات تهدف إلى تكوين أعوان الدولة مثل معاهد الدراسات السياسية.

كل حقول علم الاجتماع يمكن بالتالي أن تساهم في مشرعة النظام القائم وفي إعطاء البراهين التي يستعملها المهيمنون لإبقاء هيمنتهم.

3- البنيوية والمقاربة السوسيولوجية:

من نافلة القول أن الحركات الفكرية ترتبط بعوامل وسياقات تاريخية وثقافية وحتى جيو-سياسية تساعد على ظهورها، لتدخل عجلة التاريخ وتشتغل في حيزه، ومن المفارقات أنها سرعان ما تتحصر بعد أن تحضى بشهرة وصيت، وهذا ما حصل لكل من المنهج الفينومينولوجي في بداية القرن العشرين والتيار الماركسي أيضا، فالدارس لدورة حياتهما يلاحظ نهوض وصعود على أيدي مؤسسيها من أمثال ايدموند هسرال Edmond Husserl (1859 - 1938) وانتشارا لها في ألمانيا، ليليه في فرنسا وبعدها أوروبا لتشهد بعد ذلك تراجعا ملفتا للنظر¹.

لنتصدر المشعل بعدها الفلسفة الوجودية على يد جون بول سارتر بعد الحرب العالمية الثانية، لتتربع على عرش الفكر في كل من أربعينيات وخمسينيات القرن المنصرم وهي التي لا تتكر-الوجودية السارترية- انتمائها وولائها الفينومينولوجي الهسرلي والهايدوغري.

¹ كلتوم بن عبد الرحمان ، السلطة والآليات الرمزية عند بيار بورديو، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في الفلسفة، ص 54.

ليسطر في ظل هذه الظروف جون بول سارتر على المشهد الثقافي الفرنسي وهو المعروف بشطارته وفطنته المنقطعة النظير التي ظهر إشعاعها الممتد من شارع السان جرمان دوبري ولكن احتلاله أو ومقهى الدوماغو بالأحرى تصدره لصدارة الإشعاع الثقافي لم يدم سوى خمسة عشر عاماً. ومع بداية الستينات ظهرت حركة فكرية جديدة تظهر على الساحة. حركة تحمل اسم البنيوية Structuralisme التي تعد بالأساس منهج بحث مختص يستخدم في عدة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية وحتى العلمية تقوم على مبدأ دراسة العلاقات المتبادلة بين العناصر الأساسية المكونة لبنية ما. لم يتصور أحد بأنها ستجح وتحضي بشهرة وشعبية لدرجة تصبح فيها موضة ، Comme Une Mode بحيث يصبح من المحبب جدا الانتماء إليها وتبني أفكارها وطرح إستشكالاتها، والأكثر من هذا أنها استطاعت أن تزيج فكر سارتر عن مقاليد حكم عرش الفلسفة والفكر على السواء، فبرزت أسماء جديدة لأبطال مثل: كلود ليفي شتراوس، ميشال فوكو، جاك لاكان، رولان بارت...الخ.

استمات سارتر في الدفاع عن موقعه بكل ما أوتي من قوة ففشل أو لم يتمكن من ذلك وهذا ما يسميه بورديو فكرة الصراع بين التيار الأرتنودوكسي المحافظ للعقل الأدبي والتيار الشبابي الوافد الجديد، فليس من الهين ايقاف الحركات الشبانية وهي في أوج صعودها.

إن الغالب عند الدارسين هو أن البنيوية طريقة بحث قي الواقع عموماً وإجمالاً، لا في الأشياء على إنفراد، إنها بحث في العلاقات بين هذه الأشياء، وقد يكون التعريف الأكثر انتشاراً لها هو محاولة في نقل النموذج اللغوي إلى حقول ثقافية أخرى.¹

¹ كلتوم بن عبد الرحمان ، السلطة والآليات الرمزية عند بيار بورديو، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في الفلسفة، ص 58.

لقد بين ليفيشتراوس للبنويين الطريق الذي يحل نهائيا وبشكل حاسم المعضلة التي ابتليت بها العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ شروعها في تقويم علمي للعالم الإنساني، الذي باستطاعته أن يترك تماما هذا العالم باعتباره عالم للمعاني¹، ففي واقع الأمر انطلقت أولا من ساحة علم الألسنيات لكي تخترق وتسيطر على الأنثروبولوجيا، ذلك العلم الذي يبحث في الإنسان والمجتمعات الإنسانية وثقافتها (علم الإنسان) وعلى علم الاجتماع، والنقد الأدبي وعلم النفس والتحليل النفسي والتاريخ والفلسفة وبقية العلوم الإنسانية والاجتماعية. يحدث عمل أو مجموعة أعمال ليفيشتراوس، بالنسبة للبنويين، القطيعة الأساسية مع مرحلة ما قبل البنوية، التي كانت موزعة بين محاولات وضعية بدائية للاختزال. لذا يجب أن ترتكز أي محاولة لفهم العالم الإنساني بالنسبة للبنويين على معارضة ضارية لشرور الوضعية والنزعة الإنسانية التي تتميز بالاعتقاد الساذج بوجود واقع مستقل عن الإدراك الإنساني أو بوجود إنسانية قادرة على خلق عالمها الخاص². إذا ليفيشتراوس هو بمثابة مرشد فكري ومنهجي يوضح للعلوم الإنسانية والاجتماعية كيفية تجاوز العقبات الإبستمولوجية التي تعترض طريق الباحثين.

إن الفكرة الرئيسية التي تتغلغل داخل البنوية هي تقديم مقاربة علمية للعلوم الإنسانية بحيث أن روح هذه الإيديولوجيا هي التي طورت أعمال مختلف البنويين، فنجد أن التوسير قد نظم وطور نظام المحاججة البنوية على نطاق واسع (مستخدما مصطلحات إبستمولوجية)، ملخصا النقد الوضعي الجديد للمذهبين الطبيعي والإنساني وقد طورها فوكو في نقد مدعم نسبيا للتظاهرات الإيديولوجية للمجتمع المعاصر. كما طورها لاكان من خلال إعادة تفسير لغوية ومثالية فرويد.

¹ سايمون كلارك: أسس البنوية نقد ليفيشتراوس والحركة البنوية، ترجمة: سعيد العلمي، مراجعة ابراهيم فتحي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2015، ص9.

² المرجع نفسه، ص10.

وكيفما كان الأمر فإن هذه التوزيعات المختلفة هي تطورات لفكرة رئيسية عامة وهي الفكرة التي قدمت على الأقل صبغة بنيوية في أعمال ليفيشتراوس¹.

لقد ساهمت قراءة ليفيشتراوس في تكوين بورديو وتعزيزه ليحلل الأنساق الرمزية وهكذا فقد جرب بورديو سريعا وبالملموس، مدى ملائمة الأطروحة البنيوية وحدودها في إطار أعماله الإثنوغرافية الخاصة بمنطقتي الشاوية والقبائل الجزائرية. ومنذ ذلك الوقت تخلص من المثال البنيوي الذي ظل يهيمن على المشهد في العلوم الإنسانية ما بين (1960 - 1950)².

فإن البنيوية بالنسبة لبورديو هي منهج فلسفي فكري ونقدي، ونظرية للمعرفة تتميز بالحرص الشديد على الالتزام بحدود المنطق والعقلانية، ويتأسس هذا المنهج على فكرة جوهرية مؤداها: أن الارتباط العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة ببعضها البعض على أساس العناصر المكونة لها، أما تلك العناصر فلا يعني بها المنهج إلا من حيث ارتباطها وتأثرها ببعضها في نظام منطقي مركب.

لكن بورديو سعى إلى تخطي النموذج اللغوي الذي دارت حوله البنيوية من منطلق أنه نموذج منقوص في عقر داره... لأن اللغة تعمل داخل التركيب النحوي وخارجه... وهذا ما يجب أن ينتبه إليه العالم الفذ... إن الصمت هو جزء من اللغة والسياق كذلك، بالإضافة إلى السياق المحيط بالكلام وقد تركزت السيميائيات حول هذا البعد الغائب عن اللغة أو حول الفكرة القائلة أن اللغة تنسب إلى عناصر غائبة من بنية الجملة وممتلئة لطاقة حضور كبرى³.

¹ المرجع السابق، سايمون كلارك: أسس البنيوية نقد ليفيشتراوس والحركة البنيوية، ص 11.
² ستيفان شوفالبييه و كريستيان شوفيري: معجم بورديو، ترجمة: الزهرة إبراهيم (دمشق، علي مولا للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، 2013)، ص 59.
³ مجموعة مؤلفين، خطابات الـ "ما بعد الحداثة": في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، إشراف وتقديم علي عبود المحمداوي (الرباط، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، الطبعة الأولى، 2013، ص 69.

من خلال ما ذكرناه سابقا، تبرز أمامنا أمور معينة:

- الحرص على تحليل اللامساواة والتمييز الطبقي على مستوى بنيوي بدلا من المستوى الإيديولوجي، لكن بدون الخضوع إلى وهم ذوي النزعة الموضوعية فيما يتعلق بالبنوية.
- الحرص على فسح المجال للعلم كي يتجاوز اعتماده على النموذج من أجل فهم طبيعة الحياة الاجتماعية، وبالتالي يقف في مواجهة التطبيق والممارسات.
- الرغبة في تخطي الرواسم (الكليشيات) والصور النمطية والتصنيفات المتعلقة بالمسلمات والآراء التي تؤخذ عموما على طبيعتها من دون تساؤل.
- إظهار علاقات القوة المتضمنة في الواقع الاجتماعي وفي الميدان الاجتماعي¹.

نفهم من هنا أن بورديو يركز في أعماله على البنية من خلال دراسة وتحليل مظاهر التمييز الطبقي مستبعدا بذلك التوجهات الإيديولوجية، التي تحاول أن تفسر كل المظاهر الاجتماعية داخل المجموعات الإثنية والعرقية، وأيضا يحاول أن يدعم أبحاثه ونظرياته بمستندات علمية وعملية بغية تجاوز البراديجم المفروض والموجه لدراسة التطبيقات والممارسات مع الإصرار في تخطي الكليشيات المكرسة والبداهيات المسلم بها، التي تؤخذ عن جماعة ما دون دحضها أو إخضاعها لمنطق الأشكلة والمفهمة، إضافة إلى تقصي وإظهار علاقات القوة المخفية والمبثوثة داخل الفضاء الاجتماعي والحقل الثقافي للمجتمعات، سواء الإثنية الصغيرة مثل النموذج المصغر للمجتمع القبائلي في الجزائر أو المجتمعات المدنية الكبرى التي تمتاز بالحدثة والنمط الليبرالي الإقتصادي.

¹ جون ليشته: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا - من البنيوية إلى ما بعد الحدثة -، ترجمة: فاتن البستاني، مراجعة محمد بدوي (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، 2008)، ص102.

يقول بورديو: «إذا كان لي أن أميز عملي بلفظتين اثنتين ، فسأتكلم عن البنائية البنيوية أو البنيوية البنائية، وذلك بأخذ كلمة بنيوية بمعنى مخالف لذلك الذي يعطيه إياها التقليد السوسيري أو ذلك المنسوب إلى ليفيشتراوس»¹.

و يقول بورديو: «أريد القول أنه بالبنيوي أو البنائي يوجد في العالم الاجتماعي نفسه وليس فقط في الأنساق الرمزية واللغة والأسطورة... إلخ، بنيات موضوعية مستقلة عن الوعي وإرادة الفاعلين القادرين على توجيهه أو كبت ممارساتهم وتمثلاتهم. أريد أن أقول بأنه يوجد عبر البنائية تكون اجتماعي لجزء من أنظمة الإدراك والفكرة والفعل المؤلفة لما أسميه هابيتوس ومن ناحية أخرى لبنيات اجتماعية، وبالأخص ما أسميه حقولا². بالرغم من الدور الكبير الذي يلعبه التفسير البنيوي داخل البنية لتحليله للمقولات الرمزية المتمثلة في الرمز والأسطورة، فإن إعادة هاته البنيات إلى الميدان الاجتماعي إضافة إلى أنظمة السمات الهابيتوس باعتبارها بنيات اجتماعية ذاتية، والتقسيمات الموضوعية للعالم الاجتماعي بحيث تخلق نوع من الترابط الوراثي والجدلي المنسوبة إلى بورديو .

ليؤاخذ بدوره على البنيوية التي أنكرت كل أشكال التحليل بفعل أن العلوم الإنسانية تتخذ موضوعا لها ما جرت على تسميته "الذات"، "هذا الموضوع الذي له موضوعات"³، حيث يعتبر كل من ليفيشتراوس شريكان في ذنب اختزالهما للتاريخ إلى مجرد إجراء مفرغ من الذات مستغنين بذلك عن الذات الفاعلة والمبدعة ليحل محلها إنسانا مقهورا بالقوانين الميتة لتاريخ الطبيعة، هذه الرؤية إن صح لنا التعبير الفيضية، تجعل من البنية رأسمال وكمال أولا إنتليشي Entelechy وهو مصطلح أرسطي يراد به أمران: فالمعنى الأول ما تم في مقابل ما لم يتم وكمال الذي يتحقق بهذا التمام؛ أما المعنى الثاني الصورة واللوغوس الذي يخرج ما

¹ ستيفان شوفالبي وكريستيان شوفيري: معجم بورديو، مرجع سابق ص59.

² Pierre Bourdieu : Choses Dites, Paris, Edition De Minuit, 1997 Page147 .

³ Pierre Bourdieu : Méditations Pascaliennes, Paris, Edition De Seuil, Colle « Libre, 1997, Page 155.

هو بالقوة إلى ما هو بالفعل، ويطلق على النفس فيقال هي كمال الجسم¹. يتطور هو نفسه في إجراء تحقق ذاتي يقلص دور الفاعلين التاريخيين الذين لهم دور دعامة في البنية وأفعالهم إلى مجرد بروز كظاهرة مضافة للسلطة التي تنتمي إلى البنية، حتى تتطور وفق قوانينها الخاصة، وهكذا كان موقف بورديو واضحا فيما يخص رفضه لكل أشكال فلسفة الذات. وهو المقتنع بأن الشخصية هي "الحافز الرئيس لبناء رؤية علمية لما هو إنساني".² يفهم من علم اجتماع بورديو أنه يبرأ الفعل، وبالتالي الفاعلية ويمنع وسيلة ربما هي الوحيدة للمساهمة بوعي التحديدات، في البناء، الذي تم التخلي عنه بصغة أخرى إلى قوى العالم، لشيء يشبه الفاعل.

إن نظرية المعرفة التي هيئها بورديو هي نظرية تقدم نفسها على أساس أنها شكل مكمل للبنىوية، حيث يقتنع بورديو بأن الواقع الاجتماعي لا يمكن أن يكون معقولا إلا إذا أدركناه انطلاقا من منهجيته البنوية إذا ما اعتبرنا المجتمع فضاء علاقات، غير أن الأنثروبولوجيا البنوية، تحتاج إلى نظرية الممارسة. فالبنىوية النقدية لبورديو هي تلك الحدود التي تعتبر كمهمة لها دور تجاوز الفجوة بين نظرية الممارسة، فلا يمكنها أن تبقى عند حدود إعادة البناء الموضوعي للمواقع النسبية وللعلاقات الموضوعية بين المواقع.

إن مدخل مشروع بورديو حول "بناوية بنائية" هو أن يجعل من ممارسة الجسد الفاعل مكان مصادفة دياكتيكية للأوضاع الاجتماعية. ينبغي أن نفهم أن المرحلة البنوية كانت شريكة أساسية في بناء فكر وفلسفة بيار بورديو، فلا أحد ينكر الخدمة الجليلة التي قدمتها البنوية في مرافقتها كل من الفلاسفة الناقدين والمفكرين للتراث الغربي من أمثال فوكو، دولوز ودريدا. وكانت نظرتها نقدية لتجربة الحداثة الكلاسيكية التي استمرت مدة معتبرة من الزمن. وتجدر الإشارة أنها لم تظهر بعد حروب التحرير الوطنية ضد الاستعمار من قبيل

¹ يوسف محمد رضا: الكامل الكبير، قاموس اللغة الفرنسية الكلاسيكية والمعاصرة والحديثة، (بيروت لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة السادسة 2006، ص411.
² يوسف محمد رضا: المرجع نفسه ص598.

الصدفة لهذا نجد أن مؤسسها ليفيشتراوس قد دافع عن البدائيين وعقليتهم ضد العقلية الأوروبية الميالة للهيمنة والتسلط. كما أنه ليس من محض الصدفة أن يكون ميشال فوكو قد ضرب بمطرقته النقدية الصارمة العقلانية الغربية التي تنتشر تحت دهاليزها كل تمظهرات وأساليب الهيمنة والتوسع والرغبة في السيطرة على الآخرين.

كل هذه الأعمال والبحوث البنيوية ظهرت في فترة كان العالم الغربي يعاني من عقدة كره ذاته، وذلك بسبب شعوره بالذنب جراء ما اقترفه من جرائم في حق الشعوب المستعمرة. هذا ما جعل الأنثروبولوجيا باعتبارها طبقة مثقفة، تشعر بأن من واجبها كنخبة أخلاقيا التكفير عن ذنوب الأباء والأجداد، ولهذا تبنت استراتيجيات النقد الذي كان موجهًا بشدة إلى مركزيته وعقلانيته وتراثه وحدائته التي لطالما كان يفخر ويتبجح بها¹. في هذا الإطار العام وما يحمله من سياقات فكرية وتاريخية وسياسية ظهرت البنيوية كحركة نقدية للعلم التقليدي، بالمعنى الكلاسيكي للكلمة والتراث الغربي بتوجه ذو حمولة إبستمولوجية.

¹ جون ليتشه، المرجع نفسه ص102.

الفصل الثالث

بنيوية بيير بورديو التكوينية واهم المفاهيم المركزية لها

1. الهابيتوس في فكر بورديو.
2. إعادة الإنتاج.
3. العنف الرمزي.
4. الرأسمال.
5. نظرية بورديو بين الرفض والقبول.

مدخل:

يعد بياربورديو (Pierre Bourdieu) السوسيولوجي الغائب - كاشف زيف العقلنة الغربية - من أهم القامات الفرنسية والعالمية في علم الاجتماع، ومن العلماء اللامعين الذين شاركوا في عدة مجالات في هذا العلم (Sociologie) ، وشكلت أطروحته الفكرية أطرا علمية واضحة تراكمت على أساسها الكثير من النظريات الأخرى، إذ أراد بورديو أن يقدم سوسيولوجيا جديدة مغايرة ومختلفة عن التراث الكلاسيكي من أجل تجاوز الأزمة التي عايشها علم الاجتماع خلال ستينات وسبعينات القرن الماضي، حيث طور المفاهيم التي طرحها " كارل ماركس " واستبعد القضايا المحافظة "الوضعية" التي قدمها " إميل دوركايم " واستمد من ماكس فيبر «Max Weber» بعض الرؤى النظرية التي أعاد صياغتها بطريقة مبدعة¹، وحلل الظواهر السياسية والاجتماعية والثقافية فأحدث في تحليله لها تغييرا في حقل الدراسات الثقافية والأبحاث الاجتماعية النقدية، وفي مفهوم علم الاجتماع نفسه.²

تميز مشروعه بصياغة مفاهيم جديدة ساهمت في إثراء النظرية، حيث كان قد قرأ المفاهيم الكلاسيكية وهذه المفاهيم هي "الهابيتوس" «Habitus» و " رأس المال " «Capital» وأعطاه أبعادا جديدة ومنحها فرص سوسيولوجية أكثر اتساعا، ومفاهيم أخرى تناولها بورديو المفكر الاستثنائي - الذي استحق عن جدارة هذه الصفة- لا تقل أهمية عن المصطلحات والعبارة المفاهيمية السابقة الذكر آنفا³، شارحا أوجه اللبس والغموض فيها، وكاشفا عن الضبابية المختفية وراء سديم معناها، ونجد منها على سبيل المثال: "العنف الرمزي" «Violence Symbolique» "السلطة الرمزية" «Pouvoir Symbolique»، والتي أراد من خلالها تطوير علم الاجتماع وانطلاقه إلى آفاق أوسع .

¹ جاسم محمد أفراح، سعد محمد علي حميد، الهابيتوس وأشكال رأس المال في فكر بيبير بورديو، مرجع سابق، ص 419.

² الزبير بن عون: تحليل سوسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة - دراسة حالة المجالس الشعبية المحلية المنتخبة بولاية الأغواط، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الاتصال في المنظمات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2012، ص 121.

³ جاسم محمد أفراح، سعيد محمد علي حميد، مرجع سابق، ص 419.

وما حاولتنا هنا بتسليط الضوء عليه ما هي إلا لشحن الفكر وإعادة التفكير حول قضايا كانت خافية وساهم بورديو بإظهار الكثير منها من وجهة نظر قائمة على النقد والتمحيص والاستنتاج¹.

وفي هذا المقام البورديوي حري بنا أن نطرح التساؤلات التالي:

- ما الدلالات السوسولوجية للجهاز المفاهيمي الذي أسس بورديو له.
 - كيف جدد "بورديو" هذه المفاهيم الكلاسيكية سلبية التقليد الفلسفي والتقليد الاجتماعي الحديث وفق منظوره السوسولوجي المعاصر؟، وبمعنى آخر ما هي الرؤية السوسولوجية الجديدة التي أعطاها لتلك التصورات مثل: الهابيتوس ورأس المال، العنف الرمزي وغيرها؟
 - و بالتالي ما هي التقاطعات القائمة بين هذه المفاهيم؟
 - وأين تتجلى وظائفها في المجالات التي اشتغل عليها بورديو؟
- و للإجابة على هذه التساؤلات، فإنه من الأهمية تقديم قراءة أولية في بعض المفاهيم المذكورة سابقا التي اعتمد عليها المشروع الفكري لبير بورديو².

¹ المرجع نفسه، ص 419.

² بورديو، فاكونت: أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الانعكاسي، تر: عبد الجليل الكور، ط1، الدار البيضاء، د.م، 1997، ص 19.

1- الهابيتوس في فكر بورديو

1.1- المفهوم اللغوي:

مفهوم الهابيتوس هو واحد من ثلاثة مفاهيم نجدها حاضرة في الجهاز التحليلي لبورديو في إطار ما يسميه نظرية الممارسة تتمثل هذه المفاهيم في مفهوم "الحقل" «Field» و "رأس المال" «Capital»¹ و "الهابيتوس" «Habitus».

إذ استمد "بورديو" هذا المفهوم من "مارسيل موس" «Marcel Mauss» فعمل على تطويره اعتماداً على معالجته بالعودة إلى وجوده في نصوص فلسفية " لأرسطو" «Aristot» و"نوربيرت إلياس" «Norbert Elias» و"فيبر" «Weber» و"إدموند هوسرل"².

وتترجمه بعض المؤلفات بـ (الآبيتوس)، فهو كلمة يونانية مشتقة من الفعل اللاتيني (Habere)، ويعني فعل الملكية/التملك. استعمله "أرسطو" (384-322 ق.م) والذي أعطاه معنى طريقة الوجود الثابتة، والتي يصعب تعديلها أو تحويلها. كما استعمله "طوما الإكويني" (1225-1274) والذي أعطاه معنى العادة، وفي الميدان الطبي يستعمل بمعنى العرض كآبيتوس السل (Teberculeux) آبيتوس البلورات لوصف شكلها الهندسي. وإذا تأملنا المفهوم اللغوي لكلمة الهابيتوس أو الآبيتوس يتضح لنا أن هذا الأخير يتخذ دلالات فلسفية واجتماعية مختلفة، ويعني أسلوب أو طريقة في الوجود، أو المظهر العام، أو حالة ذهنية أو عقلية التي توجه السلوك توجيهها عفويا وتلقائياً، مما يعني هذا أن الهابيتوس ثقافة، وحضارة ونمط من أنماط الوجود والعيش والحضور في العالم.

¹ جاسم محمد أفراح، سعيد محمد علي حميد، مرجع سابق، ص 429.

² مرجع نفسه، ص 422.

2.1- المفهوم الاصطلاحي:

يعتبر مفهوم الهابيتوس "Habitus" من المفاهيم الأساسية والمركزية في سوسيولوجيا بورديو وأكثرها إثارة للجدل، فمنذ سبعينات القرن الماضي حتى مطلع القرن الحادي والعشرين كان بورديو يعمل على صقل هذا المفهوم وبلورته في صيغة سوسيولوجية وتربوية تتسم بالدقّة والوضوح¹.

وبشكل هذا المصطلح جوهر نظريته في البنيوية Stucturalisme وحجر الزاوية فيها وقد تناوله واستخدمه لأول مرة مثلما سبقت الإشارة في كتابه «نظرية الممارسة» (La Esquisse d'une théorie de pratique) في ثمانينات القرن الماضي². ولقد أراد بورديو من خلال صياغة هذا المفهوم أن يتجاوز ذلك التعارض العميق بين "الموضوعية" "L'objectivité" والذاتية "La Subjectivisme" الذي يمثل عقبة في سبيل تطور علم الاجتماع وانطلاقه لآفاق أوسع³.

ويبدو أن مصطلح الهابيتوس مصطلح غامض ومعقد، إذ يقصد به ببيير بورديو "بعض الخصال المترسخة في داخل عقول البشر وأجسادهم"⁴ "ومن هنا، فالهابيتوس بمثابة مجموعة من الاستعدادات أو الملكات الدائمة التي يكون الفرد قد اكتسبها أو تطبع عليها عبر التنشئة الاجتماعية. وبالتالي، فالاستعدادات هي مجموعة من الميول والاتجاهات والمواقف المتعلقة بالتفكير والإدراك والإحساس، فيستبطنها الأفراد حسب ظروفهم الموضوعية لوجودهم، وتوظف هذه الاستعدادات بطريقة لاشعورية.

¹ علي أسعد وطفة: (الهابيتوس في سوسيولوجيا بورديو)، مقال منشور على الإنترنت في موقع شبكة النبا المعلوماتية، www.annabaa.org/nbanews/2012/03/227.htm

² المرجع نفسه، علي أسعد وطفة.

³ حسني إبراهيم عبد العظيم: (مفاهيم سوسيولوجية حديثة: الهابيتوس)، مقال منشور على شبكة الإنترنت في موقع الحوار المتمدن، 3702، 2012. www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid.

⁴ جون سكوت: علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 2013م، ص: 42.

الفصل الثالث بنوية بورديو التكوينية وأهم المفاهيم المركزية لها

وتتمثل هذه الاستعدادات المستضمة في القيم والتصرفات والسلوكيات والمكتسبات المعرفية والذهنية. ويعني هذا أن الهابيتوس عبارة عن مجموعة من البنى المعرفية والإدراكية المستدمجة، ويتم إنتاجها في بيئة اجتماعية محددة. ويعاد إنتاج هذه البيئة من خلال قدرة الهابيتوس على التوليد.

وعليه، لا يقتصر الهابيتوس على توجهات الأفراد وتصوراتهم وملكاتهم الشخصية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الاستعدادات الجمعية، مثل: أنماط التفكير والإدراك والتقدير والممارسة. ومن ثم، يؤثر الهابيتوس في الأفعال اليومية، كالتدوق، والملابس، والأثاث، والفن، وعادات الاستهلاك، وأوقات الفراغ... ومن هنا، فالهابيتوس نتاج ظروفه الموضوعية ذاتها¹.

فالهابيتوس بمثابة مجموعة متنوعة "من التوجهات المستمرة والمهارات وأشكال من المعرفة الفنية التي يلتقطها الناس ببساطة من معايشة أناس من ثقافات وثقافات فرعية معينة. ويمكن أن تتراوح هذه من أشكال السلوك الجسدي، والحديث، والإيماءة، والملبس والأخلاق الاجتماعية، من خلال مجالات المهارات المحركة والعملية إلى أنواع معينة من المعرفة والذاكرة المتراكمة².

وإذا شئنا أن نقف على مفهومية "الهابيتوس" ودلالاته بالنسبة لبورديو يتضح معناه بأنه "مبدأ مولد للإستراتيجية "Strategy" يمكن الفاعلين من التوافق مع المواقف غير المتوقعة والدائمة التغير³.

¹ حسني إبراهيم عبد العظيم: (الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو)، إضافات، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 15، صيف 2011.

² جون سكوت: علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ص: 42.

³ أحمد موسى بدوي : (ما بين الفعل والبناء الاجتماعي بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو)، مجلة إضافات، العدد الثامن، 2009، ص 13.

كما يتمثل الهابيتوس بك « نسق من الاستعدادات الدائمة والقابلة للتحويل أو النقل (transposable) وبنى مبنية مستعدة للاشتغال بصفاتها بانية، أي كمبادئ مولدة ومنظمة لممارسات وتمثلات¹»، وبصيغته العامة هو المجتمع وقد حل واستقر في الجسم عن طريق سيرورة التربية والتنشئة الاجتماعية والتعليم والترويض، والمجتمع (هنا) بكل قيمه وأخلاقياته، بكل محددات السلوك والتفكير والاختيار إنه ذلك التاريخ الذي يسكن الأشخاص في صورة نظام قار للمؤهلات والمواقف².

الهابيتوس، إذن نسق من استعدادات دائمة وقابلة للتناقل، اكتسبت اجتماعيا وتجدرت عميقا في الذات، تشمل على الأقل ثلاثة أبعاد أساسية:

- بعد نفسي وجداني (الاختيار، الميولات، الأذواق) .

- بعد عقلي منطقي (الأفكار، مبادئ الفهم والتفسير...).

- بعد أخلاقي عملي (الأفعال، القيم...)، إنه مؤشر على الأصل أو الوسط الاجتماعي³ يقول بورديو حول وظيفة هذا المفهوم « إن إحدى وظائف مفهوم الهابيتوس الأساسية هي التخلص من منزلقين متكاملين Complémentaires "النزعة الآلية mécanique complémentaire، والتي تعتبر أن الفعل action هو نتيجة آلية لإكراهات أسباب خارجية، ومن ناحية أخرى النزعة الغائية "Le Finalisme" والتي تعتبر خصوصا مع نظرية الفعل العقلاني أن المفوض Agent يتصرف بشكل حر وواع⁴».

¹ Pierre Bourdieu: Le sens pratique, Edition de Minuit, Paris, 1980, p88.

² حسانين المأمون، ببيير بورديو نحو سوسولوجيا الكشف عن الهيمنة (الحقل التربوي) أنموذجا،
³ أحمد دناقة: الأستاذ الباحث وواقع إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسولوجي- دراسة على عينة من أساتذة علم الاجتماع بجامعة الأغواط. غرداية. ورقلة، مرجع سابق ص 100.

⁴ عبد الله بربزي: (آليات الخطاب السوسولوجي عند ببيير بورديو بين التنظير والممارسة)، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن، العدد 3829، 2012.
www.ahewar.or/debat/show.art.asp?aid

ويضيف بورديو بشأن الهابيتوس بأن المقصود به هو إحساس الفرد بالمكان الذي ينتمي إليه، وهو ما يبرز من خلال سيرورة الاختلاف في المكان الاجتماعي فيشكل في هذا السياق نسقا من المنظومات لإدراك تلك الممارسات وتقديرها، وعليه فإن التخوم بين هابيتوس وآخر هي في حالة مستمرة من المنافسة والتماهي بعيدا عن الجمود¹.

وقد يعني أيضا نوعا من القواعد للأفعال التي تساعد على تمييز طبقة ما كالتبقة المسيطرة من طبقة أخرى مثل الطبقة المسيطرة عليها في الميدان الاجتماعي، وقد أخذ بورديو يشير إلى الهابيتوس من خلال عمله " التمييز النقد الاجتماعي لحكم الذوق" (1979) بوصفه نسقا من الخطط توضع بهدف إنتاج ممارسات معينة². إذا فالهابيتوس هو مجموعة الصفات المشتركة بين طبقة ما، وعلى الرغم من توافر المعرفة حول هابيتوس "الطبقة class" فإنه ليس من الممكن التنبؤ بدقة بما يمكن أن يقوم به شخص ينتمي إلى الطبقة المسيطرة والمُسيطرة عليها في وقت وظرف محددين³.

ومن هنا تنقسم التعريفات التي قدمها بورديو لهذا المفهوم إلى نمطين:

- النمط الأول: يعرض مكونات الهابيتوس الداخلية.

- النمط الثاني: يعرض من خلال توضيح وظيفته ودوره.

ويشير النمط الأول إلى أن الهابيتوس يتكون من التصورات والميول والإدراكات ورؤية العالم أو مبادئ التصنيف، وفي مواضع أخرى يقصد الهابيتوس على أنه الميول Disposition.

¹ المرجع السابق، ص 61.

² جاسم محمد أفراح، سعد محمد علي حميد، الهابيتوس وأشكال رأس المال في فكر بيير بورديو، مرجع سابق، ص 423، 424.

³ عبد الله عبد الرحمن يتيم، مرجع سابق، ص 61.

بينما في النمط الثاني، فإن الهابيتوس هو المبدأ الذي يولد وينتج الممارسات التي تميل لإعادة إنتاج الشروط الموضوعية التي كانت ملازمة لإنتاج الهابيتوس نفسه¹

3.1- الهابيتوس بين المستويات والسمات:

يقول بورديو « مثلما يوجد هابيتوس في الفرد بالنسبة للمجتمع ويحتم على الأفراد الخضوع له بشكل معين، يوجد أيضا هابيتوس في المجتمع بالنسبة إلى الأفراد ويجدر بالمجتمع تنظيم هذه الكثرة وصياغة وحدة ناظمة».

وعلى هذا الأساس، فإن بورديو ينظر إلى الهابيتوس من خلال ثلاث مستويات وهي:

المستوى الأول: هابيتوس الفرد يقع هابيتوس الفرد ثمرة التجربة الخصوصية التي يعيشها الإنسان في سيرته الذاتية، ومن خلال تفاعل عالمه الشخصي بالمحيط الخارجي وتطبيقه لبرامج الهابيتوس الجماعي ومؤثرات الظروف التاريخية.

المستوى الثاني: هابيتوس الجماعة المحلية المحيطة بالفرد بداية من الأسرة و جماعة الأقارب، وجماعة الجيران والأصدقاء، إذ يرى "بورديو" أن هذه الجماعات تمتلك الهابيتوس الخاص بها الناتج عن تماثل ظروف الوجود الذي يؤدي إلى تآلف الممارسات وانصهار الفردي في الجمعي، وهو الأمر الذي يتيح للممارسات أن تكون مماثلة موضوعيا دون أي حساب أو قصد، ويظل تأثير "الهابيتوس الجماعي" في الفرد ممتدا إلى نهاية العمر².

¹ خالد كاظم أبو دوح: (قراءة أولية في سوسيولوجية بيبير بورديو)، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن، العدد: 1912، 2007. www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid

² المرجع السابق، الهابيتوس وأشكال رأس المال في فكر بيبير بورديو، ص 425، 426.

المستوى الثالث: هابيتوس المجال إذ يرى بورديو أن لكل مجال من المجالات القائمة (السياسي، والاقتصادي، والثقافي... الخ) في المجتمع الهابيتوس الخاص بها، وهو عبارة عن مجموعة المهارات والأساليب الفنية والمرجعيات ونظام المعتقدات الواجب توافرها في عضو هذا المجال دون غيره من المجالات، فالهابيتوس العملي على سبيل المثال يحدد نمط الإنتاج العلمي لجيل من العلماء يختلف عن الأجيال السابقة واللاحقة. بمعنى تحديد الميزات التي يمكن أن يتكيف لها من هو على شاكلة ذلك المجال ويأخذ بمتضمناته ويندرج تحت لوائه وبالتالي يعمل وفقا لما تقتضيه مصلحة وأسس وحاجات ذلك المجال.

وكما أن للهابيتوس مستويات فإن له سمات، إذ يأخذ سمات محددة أهمها: "الاستمرارية Durable" و "الشمولية Exhaustive" و "القدرة على التكيف والتحويلية Transposable".

- فالاستمرارية حيث يمارس الهابيتوس وظيفته عبر الزمن وفي مختلف المراحل الزمنية، تعني ردود أفعال ذهنية وحسية، وعاطفية وشعورية تتسم بطابع الديمومة والاستمرار.

- أما بوصفه شموليا فهذا يعني أنه لا يترك أية رواسب أو معطيات تخرج عن منطقته الداخلي، بمعنى أنه لا يسمح بمنطق الخروج من مساره الكلي المحدد عبر الزمن¹.

- وفيما يتعلق بصيغته التحويلية فهذا يعني أن الهابيتوس قادر على ممارسة دوره في مختلف المواقف الاجتماعية وفي مختلف قطاعات التكوينات الاجتماعية المتنافرة.

¹ علي أسعد وطفة، الهابيتوس في سوسولوجيا بورديو، مرجع سابق.

2- إعادة الإنتاج:

1.2- الجذور السوسولوجية لمفهوم إعادة الإنتاج:

إن مفهوم "إعادة الإنتاج" "reproduction" في معناه السوسولوجي مدين بوجوده لماركس والعمليات الاقتصادية الموصوفة من قبل ماركس بأنها عمليات إعادة إنتاج بسيطة تتميز بدوام الإنتاج واستقرار علاقات الإنتاج، يتم استبدال الأفراد زمنياً ولكن النظام يعيد إنتاج نفسه بشكل مماثل¹، بمعنى بقاء النظام هو دون أن يطرأ عليه أي تغيير أو تبدل، وفي هذا الصدد نجد "ماركس" يطلق على عملية ما بأنها عملية إعادة إنتاج موسعة وهذا عندما يكون الإنتاج متامياً، ولكن التنظيم الاقتصادي أو علاقات الإنتاج على حد قول ماركس تبقى مستقرة الإنتاج يتزايد ولكن العلاقات بين الطبقات مثل علاقات الأفراد داخل الطبقات مثلاً المنافسة بين الرأسماليين تبقى ثابتة².

2.2 - خاصية إعادة الإنتاج ومجالات وجودها

تتميز عملية إعادة الإنتاج بأهم خاصية وهي :

الثبات والاستقرار كون أن النظام يعيد نفسه بنفسه، وهذه الميزة أو المفاهيم لا تقتصر على مجال دون آخر و إنما يمكن نقلها إلى مجالات أخرى، لنتفحص مثلاً حالة استبدال السكان إذا بقيت معدلات الإخصاب والوفيات لمختلف مجموعات السن وقياس السكان هي نفسها ثابتة نكون إزاء عملية إعادة إنتاج بسيطة، وهي حالة تتصف ليس بالاختلال وإنما تشير إلى عملية توازن والحق يقال، ليس مفهوم إعادة الإنتاج سوى صنو مفهوم التوازن في مفردات التراث الماركسي³ مروراً بعملية إعادة الإنتاج إلى المجال الأدبي فيما يخص الأدبيات السوسولوجية التي عنت لق بالمجتمعات التقليدية المتطورة أو المجتمعات النامية،

¹ بودون، ف. بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: سليم حداد، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 39،40.

² المرجع نفسه، ص 41.

³ المرجع نفسه، ص 41.

ووصولاً إلى الاقتصاد بأن الفلاحون لا يملكون السلطة في التقرير معدومة عملياً فيما يتعلق ببنى تقنيات زراعية جديدة ذلك أن علاقات الولاء والإخلاص العامودية الناجمة عن النظام تجعل من غير السهل، بل من الصعوبة بمكان نشوء وعي طبقي من جهة الفلاحين .

إذ ينجم عن ذلك أن الإنتاج يبقى ثابتاً نأو ، علاقات الإنتاج تتكرر بصورة حتمية ضرورية لا مفر منها، ففي المجتمعات التقليدية مثلاً نجد الملاحظة غير متاحة وهذا نتيجة تحت ما يسميه "كرونيه" قانون الاحتكار في الظاهرة البيروقراطية. ففي ما يخص نقاط النزاع عملياً تكون هي نفسها في مختلف المصانع وإن حل النزاعات يكون غالباً تم ماثلاً من مصنع إلى آخر¹.

3.2- المعنى السوسولوجي لإعادة الإنتاج في الفكر البوردياوي:

قد تناول بيير بورديو مفهوم إعادة الإنتاج بالتحليل والدراسة والتقويم، حينما ركز اهتمامه السوسولوجي على النظام التربوي الفرنسي مع صديقه جان كلود باسرون.

ويشير مصطلح "إعادة الإنتاج" إلى مجموعة إجراءات تاريخية هي في الوقت نفسه مستقلة ومتقاطعة بحيث تندمج بواسطتها داخل السياقات الأكثر تنوعاً، فالتعارض مثلاً بين الذكر والأنثى فإنه موجود داخل الاستعدادات وداخل المؤسسات في الأجساد وفي العقول، في الكلام وفي المعايير القانونية، ويتغير بطريقة جد مختلفة في ارتباط بحقول ومناطق الفضاء الاجتماعي التي يؤول فيها إلى الزوال².

¹ المرجع السابق، ص 42.

² ستيفان شوفالبيه، كرسيتيان شوفيري، معجم بورديو، مرجع سابق، ص 47، 48.

إن بورديو لا يعتبر إعادة الإنتاج هذه نتاج فعل البنيات ذاتها كما لو أنها تحمل بداخلها مبدأ خلودها الخاص، وتقدير تأثيرات إعادة الإنتاج الذي يلاحظ داخل العالم الاجتماعي لا يلزم تشيؤ البنيات، ف نموذج إعادة الإنتاج الذي يفهمه " بورديو " ببساطة مواقع نسق ما في صلة مع منافع واستراتيجيات الفاعلين الذين يشغلونها، وفي هذا الصدد يذكر " بورديو " عن القوة الخاصة والفردية للفلسفة الكلاسيكية : " إنها ميل للحفاظ على دينامية داخلية في الكائن محفورة في الآن ذاته داخل البنيات الموضوعية وفي البنيات الذاتية، وفي استعدادات الفاعلين ثمراتها على الدوام مضمونة ومدعومة بأفعال التشييد وإعادة تشييد البنيات التي تتوقف مبدئياً على الموقع الذي يشغله أولئك الذين ينجزون هذه الأفعال¹.

فمنطق إعادة الإنتاج يشبه المنطق الذي يسود في تعريف الزمن المنسوب إلى ليبنتز ، إن اللعب الاجتماعي له تاريخ وله رهان، والرهان معناه أن نتخلى عن المنطق الآلي للبنية لصالح المنطق الدينامي، وبهذا إعادة الإنتاج هي : "رهان استراتيجيات كل الأنظمة التي يكون مع البنيات الموضوعية المتاحة، هذه الاستراتيجيات التي تشكل الأسرة مكانا لها بامتياز استعدادات "الهابيتوس"، وحتى نصنع نظرية عامة للإجراء الشمولي لإعادة إنتاج التراتيب الاجتماعية لا ينبغي فقط تشييد صورة نسق إعادة الإنتاج لكن ينبغي أيضا تأسيس ذلك المتعلق بنسق إستراتيجية إعادة الإنتاج في مختلف أبعاده (البيولوجية، الميراثية والتربوية...).

وانطلاقاً مما سبق التطرق إليه سلفاً نستنتج، أن إعادة الإنتاج هي إستراتيجية يمكن من خلالها نسق ما تأن يحافظ على علاقات القوة التي بداخله، وأن يبين حدوده ويحافظ عليها.

وبمعنى آخر فإن إعادة الإنتاج في حقل ما هي تلك الآلية التي من خلالها يمكن للمسيطرين على ذلك الحقل أن يحددوا من خلالها آلية اشتغال الفاعلين داخل ذلك الحقل من أجل أن تظل السيطرة والهيمنة دائماً متأتية للمهيمنين على ذلك الحقل.

¹ المرجع السابق، ص 49.

إعادة الإنتاج إذن هي ميكانيزما وظيفتها استمرارية التراتبية داخل حقل ما، وفي نفس الوقت عزل ذلك الحقل عن الحقول الأخرى وتحصينه ضد دخول أي أعوان من خارجه إلا وفق الشروط التي تحددها آلية اشتغال الحقل نفسه.

4.2- استراتيجيات إعادة الإنتاج:

يسعى أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلى الحفاظ على مكوناته كنسق مترابط الأجزاء و إلى نقل الموروث الثقافي عبر الأجيال من أجل إنتاج وإعادة إنتاج المجتمع، فنجد العديد من المجتمعات على الرغم من مواكبتها للتغيرات الاجتماعية، إلا أنها تقيم جدار فاصلا بين بؤادر التغير الاجتماعي والخصائص الثقافية والبنوية لها، لذلك تضع استراتيجيات فعالة لإعادة إنتاجها تعتمد على ما يملكه الأعوان من رساميل وعلى الأعوان في حد ذاتهم؛ لأن كلما زادت رغبة الفاعلين الاجتماعيين للحفاظ على النسق زادت مكانتهم الاجتماعية تدرجا داخل الهرم الاجتماعي، وعليه يمكن إقامة نمطية لهذه الاستراتيجيات :

1.4.2- إستراتيجيات الاستثمار البيولوجي:

يحافظ الأفراد على كيانهم البيولوجي إلى إنتاج أعوان اجتماعيين بإحدى طريقتين إما الإنجاب و إما الاستراتيجيات الوقائية، فالأولى تتم عن طريق الزواج الشرعي الذي يعمل على الحفاظ عن الموروث الثقافي وتناقله بين الأجيال¹.

فكثيرا ما تسعى العائلات النبيلة إلى تأييد رأسمالها والحفاظ على هيبتها، فتعزز هذه المجتمعات هيبتها الاجتماعية بأجيال تحمل خصائصها الثقافية وترث رأسمالها الرمزي يساعد الجيل الذي سبق الجيل الذي يليه على التدرج في الهرم الاجتماعي، فتلجأ الجماعة الاجتماعية إلى الإنجاب، الذي يعتبر مهمة خاصة بالنساء اللواتي يقمن بإعادة الإنتاج البيولوجي والحفاظ على علاقات القرابة وتقويتها والحفاظ على بنية العائلة² ، فإسناد الأعمال

¹ بورديو بيار: الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009 ص 114.

² المصدر السابق، ص 114.

المنزلية إلى السيدات له فوائد كبيرة في تقوية العلاقات الاجتماعية والمحافظة على التضامن والتعاون داخل العائلة وفي المحافظة على الرأسمال الاجتماعي وصيانتته، كما أنها تساهم في نقل الموروث الثقافي بين الأجيال وفي تنظيم النمط المعيشي للحياة اليومية¹.

2.4.2- الإستراتيجية الوراثةية :

و التي تهدف إلى ضمان انتقال الإرث المادي بين الأجيال وذلك من خلال أقل تسرب ممكن. وتكون ذات أهمية كلما كان الرأسمال الاقتصادي مسيطرا في الحجم الإجمالي للرساميل². إن انتقال المزرعة بالنسبة للمزارعين والدكان بالنسبة للتجار والورشة بالنسبة للحرفيين يعتبر رهانا مركزيا بالنسبة لهؤلاء المستقلين الذين لهم رأسمال ثقافي ضعيف.

فتوضع الاستراتيجيات حسب ميدان العمل فتعمل هذه القواعد على تعزيز رأس المال الاقتصادي لدى الأفراد مما يساهم ذلك في تعزيز مكانتهم الاجتماعية داخل الحقل الاجتماعي الذي ينتمون إليه، فتتم عملية إعادة الإنتاج reproduction عن طريق التوريث المباشر لرأس المال الاقتصادي³.

3.4.2- استراتيجيات الاستثمار الرمزي:

وهي كل الأفعال الهادفة إلى الحفاظ وإلى زيادة رأسمال الاعتراف. ويتعلق الأمر بالإستراتيجيات التي يكمن هدفها في إعادة إنتاج بنى الإدراك والتقدير الأكثر ملائمة مع خصائصها وإنتاج أفعال كفيلة بأن تثمن إيجابيا حسب هذه الفئات⁴.

¹ المصدر السابق، ص114.

² عبد الكريم بزاز، علم اجتماع بيار بورديو، مرجع سابق، ص 70.

³ ميشيل توما ليلو: الأصول الثقافية للمعرفة البشرية، تر: شوقي جلال، ط1، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2006 ص 31.

⁴ عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 71.

4.4.2 - الإستراتيجيات التربوية:

تهدف الإستراتيجيات التربوية إلى إنتاج أعوان اجتماعيين قادرين على تلقي إرث هذه الجماعة ومؤهلين لإعادة إنتاجها، ولعل هذه الإستراتيجيات تتجلى بوضوح في الإستراتيجيات التي تتخذها المدرسة، حيث تلعب هذه الأخيرة دورا مركزيا في إعادة الإنتاج الاجتماعي وعلى تحسين المستوى الثقافي والرفع منه¹.

فالمدرسة مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لتشارك الأسرة مسؤولياتها في التنشئة الاجتماعية وتبعا لفلسفته وأهدافه ونظمه²، كما أنها تعد الأداة والوسيلة والمكان الذي بواسطته تنتقل الفرد من حال التمركز حول الذات إلى حال التمركز حول الجماعة، وهي الوسيلة التي يصبح بها الفرد إنسانا اجتماعيا وعضوا فاعلا في المجتمع³.

تتباين تعريفات المدرسة بتباين الاتجاهات النظرية في مجال علم الاجتماع التربوي، وتتنوع هذه التعريفات بتنوع مناهج البحث الموظفة في دراستها، ويميل أغلب الباحثين إلى تبني الاتجاه النظمي في تعريف المدرسة وينظرون إليها بوصفها نظاما اجتماعيا ديناميا معقدا ومكثفا⁴.

3 - العنف الرمزي:

العنف ليس ظاهرة جديدة وخاصة بعالم اليوم، فهي موجودة وجود الإنسان على الأرض وهي جزء لا يتجزأ من تاريخ البشرية، إذ نجدها حاضرة في الكثير من الأساطير والخرافات التي تروي ماضي الشعوب والحضارات الإنسانية، وهي ملازمة لجميع مجالات البشرية

¹ بورديو بيار، جان كلود باسرون، المصدر سابق، ص 123.

² إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، ط1، دار الجيل، بيروت، دن، بيروت، ص 71.

³ المرجع نفسه، ص 71.

⁴ علي أسعد وطفة، علي جاسم شهاب: علم الاجتماع المدرس: بنوية الظاهرة ووظيفتها الاجتماعية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، الكويت، 2003، ص16.

ومتعددة الوجود في جميع وسائل الإعلام بشتى أشكالها وصورها، وهي أكثر قربا من الفرد في علاقاته الإنسانية والاجتماعية اليومية.

ظاهرة العنف تمس كل أفراد المجتمع بدون استثناء فالكلمة معرض لها والكل معني بها، ولا يمكن لأحداث إنكارها أو نفيها إذ ذلك يؤدي إلى الانغلاق في عالم مسالم وهـ مي لا وجود له إلا في عالم الخيال. فالعنف موجود دائما في كل زمان ومكان، فالإنسان في صراعه الدائم مع الطبيعة ومع غيره من أجل البقاء ولذلك نجده يطور الأدوات الأكثر اتقانا وفتكا لكي يستعملها في حروبه وللسيطرة وفرض وجوده¹.

ومن هنا يعتبر موضوع العنف على غرار بقية المواضيع الاجتماعية الأخرى ذو أهمية قصوى في البحث العلمي، خاصة بعد معرفته تفشيا واسعا ومتزايدا في عصرنا الراهن من قبل ممارسات أفراد المجتمع له لأسباب متعددة، ولأنه من ناحية أخرى بكل أصنافه وأنواعه يمثل تهديدا لأمن الحياة الاجتماعية، وأرقا لكل البشر².

وقبل التطرق في تفاصيل هذا المفهوم (**العنف الرمزي** *Violence Symbolique*) الذي قدمه "بيار بورديو" كمفهوم سوسيولوجي معاصر يجدر بنا أن نتوقف ولو قليلا عند بعض المفاهيم البارزة التي لا يمكن تجاوزها في مفهوم العنف بشكل عام، وذلك بهدف الوقوف على ماهية وحقيقة هذا النوع من العنف أي الرمزي .

¹ حبيب بن صافي: (العنف وعلاقته بالفرد والمجتمع)، مجلة الحوار الثقافي، 2015 ص 244.

² Myriam Watthee- Delmotte: Laviolence representations et ritualisations, Lharmattan, France, 2002, p17.

1.3 - مفهوم العنف:

1.1.3 - لغة:

يشق مفهوم العنف من كلمة "violentia" والتي تعود من الناحية الاشتقاقية الأصل أو إيتيمولوجيا تنبعث منها عدة كلمات أو مقاطع، وتأخذ كلها معاني القوة والشراسة بحيث تحتوي على الفعل "violare" والذي يعني التعامل بالعنف، أي بالخرق والتدنيس¹.

كما أن كلمات "Bia-Via-Vita": إنما تدل على رغبة البقاء وحب الحفاظ على الذات، وعليه فإن كلمة عنف "violence" تأخذ معنى قوة الحياة أو البقاء².

أما الشطر الثاني "Latus": فهي اسم مفعول لكلمة "firo" وتعني يحمل "violence" أي يحمل القوة وترمي في أولى معانيها إلى استعمال القوة عند الآخرين³.

2.1.3 - اصطلاحا:

يعرف العنف من عدة نواحي :

- يعرف العنف من الناحية النفسية على أنه: "السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثمارا صريحا بدائيا كالضرب والتقتيل للأفراد، والتكسير والتدمير للممتلكات، واستخدام القوة والإكراه للخصم وقهره⁴.

¹ Gérard pirlot : La violence et souffrance a l'Adolescence, Psychopathologie, Psychanalyse et anthropologie culturelle, l'Harmattan, 2003, p26.

² نورة عامر: التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 69.

³ I.Gillioz : Définition de la violence in: <http://www.Eurowrc.Org/06.Contributions/2.Du25/12/02>.

⁴ شاكر عطية قنديل، فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ط 2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دم، 2003، ص 589.

- ومن الناحية الاجتماعية تعبير صارم عن القوة التي تمارس لإجبار الفرد أو الجماعة على القيام بعمل من الأعمال المحددة، يريدها الفرد أو الجماعة المحددة، يريدها الفرد أو جماعة أخرى، حيث يعبر العنف عن القوة الظاهرة التي تتخذ أسلوبا فيزيقيا مثال ذلك الضرب أو تأخذ شكل الضغط الاجتماعي وتعتمد مشروعيتها على اعتراف المجتمع¹.

- أما من الناحية السياسية يعرفه "حسنين توفيق إبراهيم" على أنه: "مجموعة من الاختلافات والتناقضات الكامنة في المجتمع"².

- ويعرف العنف من الناحية القانونية بأنه الإكراه أو استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد أو مجموعة من الأفراد³.

بعدما تطرقنا إلى تعريف "العنف Violence" من مختلف النواحي (النفسية، والاجتماعية، والسياسية، والقانونية، والاقتصادية)، يهمنا أن نشير في عجالة خاطفة إلى معانيه عند بعض الفلاسفة والمفكرين فنجد منه ما يعرضه لنا الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه" في قوله: «العنف هو الناتج الطبيعي لإرادة القوة».

ويقدم "نيتشه" مدحا للعنف وتمجيذا له يذكرنا بموقف كاليكلاس في محاورة الغرجياس لأفلاطون⁴.

¹ محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار الطبع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دس، ص 213.

² حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط1، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، 1992 ص 42.

³ أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، دم، ص 441.

⁴ جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004 ص 311.

وبالنسبة " لروبير Robert " (فرنسي معاصر) فيشير في قاموسه « قاموس روبير » إلى أن العنف " هو التأثير على الفرد وإرغامه دون إرادته وذلك باستعمال القوة واللجوء إلى التهديد¹ " .

ومن المعلوم أن العنف يتخذ شكلين رئيسيين:

النوع الأول: عنف فيزيائي يكون بإلحاق الضرر بالآخرين جسدياً، ومادياً، وعضوياً.

النوع الثاني: وعنف رمزي مهذب يكون بواسطة اللغة، والهيمنة، والإيديولوجيات السائدة، والأفكار المتداولة. ويكون أيضاً عن طريق السب، والقذف، والشتم، والدين، والإعلام، والعنف الذهني. لذا، يعرفه بيير بورديو بقوله أن العنف الرمزي هو عبارة عن عنف لطيف وعذب، وغير محسوس، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية الخالصة. أي: عبر التواصل، وتلقي المعرفة، وعلى وجه الخصوص عبر عملية التعرف والاعتراف، أو على الحدود القصوى للمشاعر والحميميات².

2.3- مفهوم العنف الرمزي:

يشكل مفهوم العنف الرمزي واحداً من أكثر اكتشافات بورديو الفكرية تألقاً وأهمية، ويمثل حجر الزاوية في مملكته الفكرية، وهو يشكل منطلقاً منهجياً للكشف عن الفعاليات الذهنية التي يمارسها المجتمع في تشكيل عقول الأفراد³. وقد وظف هذا المفهوم جيداً في إنارة الدهاليز المظلمة لقضايا اجتماعية كبرى مثل: " الهوية L'identité " و " الطبقة Class " و " إعادة الإنتاج Reproduction " والصراع الطبقي وسلطة الدولة⁴.

¹ Robert.P: Dictionnaire Le Robert alphabétique et Analogique de la langue Francaise, Société des nouveaux livres (S.N.L), Paris, 1978, p 2097.

² Pierre Bourdieu, *La domination masculine*, p:88.

³ المرجع السابق وطفة، 2013 الصفحات 15 – 16

⁴ علي أسعد وطفة: (الطاقة الاستلابية للعنف الرمزي)، مقال منشور على الإنترنت في موقع شبكة النبا المعلوماتية،

www.annabaa.org/nbanews/2012/05/8htm

:2012

ويشرح بورديو مفهوم العنف الرمزي من خلال مثال هام، وهو ما يعرف بالهيمنة الذكورية " Masculine domination " إنه يعتقد أن هذه الهيمنة تمثل شكلاً نموذجياً Paradigmatique Forme للعنف الرمزي، ويتسم العنف الرمزي المرتبط بالهيمنة الذكورية - بمعنى ما - بأنه غير مرئي وغير ملحوظ، بحيث يبدو وكأنه جزء من طبيعة الأشياء المستقرة، حتى أن المرأة وهي المضطهدة قد لا تشعر أنها في مرتبة أدنى من الرجل.

وغالبا ما يجري الخلط بينه وبين العنف السيكولوجي، فهناك عدد كبير من الباحثين الذين يحيلون العنف الرمزي إلى العنف السابق الذكر، وهذا يتعارض مع الحقيقة السوسيولوجية للعنف الرمزي الذي يختلف كلياً وجوهرياً عن العنف النفسي كما عن أي شكل آخر من أشكال العنف¹.

فالعنف الرمزي مقارنة بأي شكل آخر من أشكال العنف - كما قلنا سلف - يكون غامضاً مستتراً خفياً ناعماً، ولكن نتائجه قد تكون كارثية فيما يتعلق بتوجهات الحياة الاجتماعية بمساراتها الفكرية والأيدولوجية. ويضاف إلى ذلك أنه عنف إشكالي وظيفي، يحمل في ذاته طابعاً أيديولوجياً وهو يثير كثيراً من الجدل بين الباحثين والمفكرين².

والعنف الرمزي ينبثق عن سلطة رمزية، ويعبر في جوهر الأمر عن توجهاتها، وهذه السلطة تقوم على أسلوب التورية والتخفي، فهي سلطة لا مرئية تنطلق من مبدأ تواطؤ أولئك الذين يابون الاعتراف بأنهم يخضعون لها، لهذا يكون تأثير السلطة الرمزية أعمق وأخطر من أي سلطة أخرى³؛ لأنها في جوهرها تستهدف البنية النفسية والذهنية لضحاياها. وبالتالي فهي - أي السلطة الرمزية - تخطط لفرض أهدافها المرسومة وإنتاج الأدوات والآليات والمعايير المناسبة لإخضاع من تستهدفهم، وذلك لتثبيت وخلق واقع وضع إنساني مرغوب

¹ علي أسعد وطفة، مرجع سابق.

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه.

فيه ومخطط له، وتمارس هذه السلطة الرمزية فعاليتها بطريقة منظمة وبنائية متكاملة تحت غطاء التخفي والاختفاء، أي وراء أقنعة المؤلف العادي وأنظمة التقاليد والمقولات والخطابات المنغرس في عقول الناس و ضمائرهم¹.

وملخص القول أن بير بورديو عرف **العنف الرمزي**: "Symbolique Violence" هو ذلك العنف الغير الفيزيائي، اللطيف واللين والغير المحسوس ولا شعوري، الذي يفعل فعله في الناس بشكل مستمر ومتدفق دون أن ينقطع وهذا عبر طرائق ووسائل رمزية خالصة أي عن طريق التربية وتلقين المعرفة والأيدولوجيا والكلمات البريئة ظاهريا، الدين، الصحافة، التلفزيون على خلاف العنف المادي أو الفيزيائي "يمكن أن يحصل له انقطاعا مفاجئا، كما أنه يمكن ممارسته على العون الاجتماعي وهذا عن طريق إيذائه جسديا وعضويا وهو أقل ضررا من هذا العنف، فبورديو ينتقد الفكر الماركسي الذي لم يولي اهتماما كبيرا للأشكال المختلفة للعنف الرمزي واهتمامه أكثر بأشكال العنف المادي والاقتصادي، وقد أشار إلى أن العنف الرمزي يمارس تأثيره حتى في المجال الاقتصادي.

4- الرأسمال:

يمثل مفهوم "رأسمال Le Capital" مفهوما مركزيا آخر في المشروع النظري "البورديو"، والمفهوم مستمدا أساسا - كما هو معروف - من علم الاقتصاد الكلاسيكي ويعني الثروة المتراكمة²، أو كما يطلق عليه بعض علماء الاقتصاد كل ثروة معدة للإنتاج لا للاستهلاك كالمزارع والمساكن، والمعامل والآلات، والأدوات والمتاجر، والأوراق المالية، بخلاف المآكل والملابس، وأدوات الزينة، فإنهم لا يعتبرونها رؤوس أموال³.

فكارل ماركس يرى أن أساس الصراع بين الطبقات الاجتماعية، ولاسيما بين البورجوازية والبروليتارية قوامه الرأسمال الاقتصادي، أما بيير بورديو، على غرار ماكس

¹ المرجع السابق.

² جاسم محمد أفراح، سعد محمد علي حميد، مرجع سابق، ص 428.

³ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1986، ص 602.

فبير، يرى أن الصراع لا يتخذ دائما طابعا اقتصاديا، فقد يكون صراعا ثقافي ومن ثم، فثمة رأسمالان مهمان في تحريك مجتمعاتنا المعاصرة هما: الرأسمال الثقافي والرأسمال الاقتصادي.

وبنا على ما سبق، فقد حدد بيير بورديو أربعة أنماط مختلفة مدن الرأسمال الذي يملكه الفاعل المجتمعي هي :

1.4- الرأسمال الاقتصادي: هو الذي يقيس موارد الفرد المادية والمالية، ويرصد ثرواته وممتلكاته، ويحدد دخله الشهري والسنوي. وهو ذلك الكم المتراكم من المقتنيات المادية التي يحوزها الأفراد والتي يستخدمونها في سبيل تقوية مواقعهم في عمليات الصراع والتنافس، ورأس المال الاقتصادي كغيره من أنواع الرأس مال يمكن تنميته، كما أنه يمكن تنمية رؤوس الأموال الأخرى عن طريق الاستفادة منه¹.

2.4- الرأسمال الثقافي: يقيس موارد الفرد الثقافية، مثل: الدبلومات والشهادات العلمية والمهنية، والمنتج الثقافي من مقالات وكتب ودراسات وأعمال إبداعية وثقافية وفنية، وما يملكه من مهارات، وكفاءات، ومواهب، وقدرات معرفية ومهنية وحرفية في مجال الثقافة².

3.4- الرأسمال الاجتماعي: يقيس ما يملكه الفرد من علاقات اجتماعية ومعارف وصدقات، تعود إلى ذكائه الاجتماعي الذي يستثمره لربط مجموعة مدن صلات الرحم والقربة والصدقة والزمانة³.

4.4- الرأسمال الرمزي: ويتضمن الرأسمال الاقتصادي، والرأسمال الثقافي، والرأسمال الاجتماعي. وبهذه الأنماط يتميز الفرد مجتمعيا عن باقي الأفراد الآخرين. ويقصد برأس المال الرمزي الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة " كالشرف Honor " و"الهيبة

¹ جيريمي ريفكين: عصر الوصول، تر: صباح صديق الدملوجي، ط، [المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 93.

² حسني إبراهيم عبد العظيم، بيير بورديو الفلاح الفرنسي الفصح، مرجع سابق

³ جميل هلال، محمد نصر: قياس رأسمال الاجتماعي في الأراضي الفلسطينية، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية، ماس، 2007، ص 13.

Prestige" و" السمعة الطيبة *renown* والسيرة الحسنة والتي يتم إدراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع. فالرأس مال الرمزي يركز على الذبوع والانتشار *Publicity* "والاستحسان " *Appreciation* "إنه يرتبط بالهبة والسمعة والشرف التي تلاقي تقديرا من الآخرين، ويتطلب تراكم هذا الشكل من رأس المال جهدا متواصلا من أجل الحفاظ على العلاقات التي تؤدي إلى الاستثمار المادي والرمزي له¹.

وقد أضاف "بيير بورديو" *Pierre Bourdieu* رأسمالا آخر في كتابه «أسئلة السوسيولوجيا *Question de Sociologie*» وسماه بالرأس المال اللغوي؛ لأن بهذا الرأس مال تستطيع جماعة ما أن تفرض نفسها وأنيتها ووجودها، وبالتالي تستفيد من السلطة ومن امتيازات مادية ومالية وثقافية ورمزية . وفي هذا السياق، يقول بورديو: يعني الرأس المال اللغوي التحكم في آليات تشكل الأسعار اللغوية، وكذا القدرة على جعل قوانين تشكل الأسعار تعمل لصالح صاحبه (أي الرأس مال)، والقدرة على استخلاص فائض القيمة النوعي².

5.4- الرأس مال القيمي أو الديني: فهو الرأس مال المهم للإنسان، إذا تملكه الإنسان ربح

الدنيا الآخرة. وبالتالي، فأحسن اقتصاد ينبغي أن يسعى إليه الفرد جاهدا يتمثل في التجارة مع الله في مجال العبادة والتدين والإحسان وفعل الخير.

وعليه، يستطيع الفرد، بهذه الموارد الرأسمالية المختلفة (الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية،

والثقافية، واللغوية)، أن يحقق أرباحا ومنافع مجتمعية، ولاسيما أن الرأسمالين: الاقتصادي

والثقافي هما أكثر أهمية في مجتمعاتنا المعاصرة حسب بيير بورديو. وهما اللذان يشكلان

بنية المجتمع، ويتحكمان فدي أفعال الأفراد، ويجعل كل حقل مجالي فضاء للتنافس والصراع

والتطاحن الاجتماعي والطبقي³.

¹ حسني إبراهيم عبد العظيم، بيير بورديو الفلاح الفرنسي الفصح، مرجع سابق.

² جميل حمداوي: المفاهيم السوسيولوجية عند بيير بورديو، تاريخ الإضافة 2015/3/7.

³ عبد الكريم بزاز، علم اجتماع عند بيير بورديو، ص 63.

5- نظرية بورديو بين الرفض والقبول :

إن النظرية التي تبناها بيير بورديو لها تأثير كبير وهذا التأثير هو على الخصوص نتيجة لقدرته على تجاوز الحدود، في البداية الحدود الموجودة بين التخصصات في علم الاجتماع والتي تسمح لعلماء اجتماع متخصصين في ميدان معين الاستفادة من تحاليله، ثم وبدرجة أقل الحدود الموجودة بين العلوم الإنسانية المختلفة، وهي دعوة للباحثين لتبني مقارنة متعددة التخصصات، وفي الختام بين البلدان وذلك من خلال حوار علمي يتم بين علماء اجتماع من جنسيات مختلفة. لكن هذا الإشعاع يجب أن لا يخفي الانتقادات المختلفة الموجهة لعلم اجتماع بيار بورديو والتي تدور أساسا حول إطاره النظري المصطبغ بالنظرية البنوية وبالمرجعية الماركسية. وتستهدف الانتقادات الموجهة المفاهيم الموظفة ولاسيما مفهومه المشهور "الملكة"¹.

ومن هنا فقد انقسمت نظرية بورديو بين مؤيدين ومنتقدين:

1.5- مقارنة بورديو ومؤيديه:

1.1.5- مقارنة بورديو البنوية في علم الاجتماع شغلة لا جدال فيها:

أصبحت مقارنة بيار بورديو مدرسة، وما يؤكد ذلك تعدد الدراسات المستوحاة من مقارنة بورديو في مختلف حقول علم الاجتماع. إن شبكة قراءة الظواهر الاجتماعية المقترحة من طرفه عرفت تطورا منتظما ويشهد على ذلك العديد من المؤلفات والمقالات التي تستلهم منها، وخصوصيتها تفسر من خلال تعدد المسالك التي فتحها في كتاباته الخاصة.

¹ المرجع نفسه، ص 172.

إن التقدمات العلمية البارزة التي كان وراءها بيار بورديو يمكن ملاحظتها في العديد من الميادين المختلفة.

- إدخال علم اجتماع المؤسسات المدرسية والجامعية وعلم اجتماع الفن الذي تطور في الستينيات حول إشكالية بورديو وذلك من خلال نظرية الشرعية الثقافية القائمة على فرضية التشابه والتماثل بين تدرج الأعمال الفنية وتدرج الجمهور¹.

- تعددت الدراسات حول الاستهلاك الثقافي، والعديد منها يجمع بين علم اجتماع الثقافة وعلم اجتماع الفن وعلم اجتماع التربية في علم اجتماع واسع للخيارات الرمزية، وكل هذه المحاولات صدرت في مجلة "أعمال البحث في العلوم الاجتماعية".

- كما يمكن كذلك الحديث عن الإسهامات في علم اجتماع الجماعات الاجتماعية، ودراسة لوك بولتسكي الصادرة في 1982 حول الإطار تبيين كيف تم فرض مفهوم الإطار ، بمعنى كيف تم إنتاج مقولة إدراكية من خلال عمل قائم على التمثل والتقنين. إن كتاب بولتسكي BOLTANSKY يوضح الطريقة التي تتم بها صراعات التصنيف لأن كل جماعة تحاول أن تفرض تمثّلها الذاتي كتمثّل موضوعي².

- إن أعمال بورديو تجاوزت إطار علم الاجتماع وقد تجلت في العلوم الإنسانية الأخرى. لقد بينا إشكالية استقلالية الحقل الاقتصادي، وبصفة عامة فإن العديد من الدراسات والبحوث بينت أن الاقتصادي لا يمكن أن يتصور بصفة مجردة دون أخذ بعين الاعتبار العلاقات الاجتماعية.

- إن الاقتصاد هو كذلك صياغة اجتماعية حيث نستطيع أن نبين أن مفاهيمه التي تريد أن تكون معولمة ما هي في الواقع إلا إنتاجات للتاريخ الاجتماعي، وإن كاتباً

¹ المرجع نفسه ، عبد الكريم بزاز ص 67.

² المرجع نفسه.

مثل "صالي SALAIS" واصل هذه التساؤلات بدراسة ظهور مفهوم البطالة من 1890 إلى 1980 سنة¹.

- إن أعمال بيار بورديو ساهمت أيضا في تقريب علم الاجتماع والتاريخ، وذلك من خلال حث علماء الاجتماع على إدماج التاريخ في مقارباتهم، لأن المقابلة بين الماضي والحاضر تعتبر تعسفية، وبالفعل وكما يدل على ذلك أحد عناوين مقالاته " الميت يتحكم في الحي"، فإن التاريخ يسجل في أجسامنا في شكل ملكة.

- يدعو بورديو المؤرخين إلى تبني منظور بنائي، وكتاب نواريل NOIRIEL العمال في المجتمع الفرنسي في القرنين 19 و 20" يعتبر نموذجا على خصوبة هذه المقاربة، وقد بين الكاتب كيف أن العمال تجندوا في الثلاثينيات وكانوا وراء ميلاد وظهور تمثيل جماعتهم في شكل طبقة².

- قد استعمل بعض الكتاب إسهامات بورديو للتساؤل حول المشرعة مثل لاغروي، LAGROYE أو قاموا بوصف منطق اشتغال الأحزاب السياسية باستعمال مفهوم الحقل وهو حال أوفرلي.

- أما في العلوم السياسية، فإن البحوث التي أجريت حول محددات المشاركة والمواقف وآراء السياسية إعتمدت على تمثّل الفضاء الاجتماعي المقترح من طرف بيار بورديو، لأن التعارض السياسي يمين /يسار لا يمكن حصره في تعارض بين أغنياء وفقراء. يجب أن لا نأخذ فقط بعين الاعتبار حجم الرأسمال المكتسب ولكن كذلك بنيته لملاحظة المنطق السياسي الخاص بكل شريحة طبقية، لأن هناك فوارق بين الخاص العام، والعامل المؤجر والحر، والرأسمال الثقافي والرأسمال الاقتصادي، وهكذا، فإننا نلاحظ أن التصويت على اليسار محتمل جدا لدى الفئات الشعبية المؤجرة المرتبطة بالوظيفة

¹ عبد الكريم بزاز، علم اجتماع بيار بورديو، مذكرة شهادة الدكتوراه، 2009.
² المرجع نفسه.

العمومي وبالقطاع العام بمعنى عند مجموعة غير متجانسة يلتقي فيها العمال والمعلمون والمهن الفكرية والموظفون. أما التصويت على اليمين وعلى العكس من ذلك فهو يرتبط بامتلاك رأسمال مرتفع ولكن يغلب عليه الطابع الاقتصادي: إطارات القطاع الخاص والمهن الحرة ورؤساء المؤسسات ولكن كذلك التجار والحرفيون والمزارعون¹.

2.1.5 - فلسفة بورديو أصبحت عالمية:

يهدف بورديو إلى ترقية التبادل بين علماء الاجتماع على المستوى الدولي. على المستوى الأوروبي، نستشف هذه الإرادة من خلال نشر مجلة "ليبار" وهي مجلة أوروبية تهتم بالكتب ويديرها بورديو والتي تصدر في فرنسا كملحق لمجلة "أعمال البحث في العلوم الاجتماعية".

تصدر مجلة "ليبار LIBER" في العديد من الدول الأوروبية وهي ليست عبارة عن قراءات ببليوغرافية فحسب وإنما تقوم بمواجهة مختلف آراء علماء الاجتماع من جنسيات مختلفة حول موضوع سوسيولوجي خصوصي (مثل: المثقفون، المهاجرون) أو تقوم بتقديم بحوث والتعريف بعلماء اجتماع من بلد معين. وهذه التبادلات تتم كذلك من خلال العديد من المحاضرات المقدمة في أنحاء عديدة من العالم من الولايات المتحدة إلى اليابان، كما أن ملتقيات ليبار بورديو في المدرسة العليا للدراسات في العلوم الاجتماعية يتابعها العديد من الطلبة من كل القارات².

¹ المرجع السابق، عبد الكريم بزاز، ص 175.

² H. MENDRAS, LE CHANGEMENT SOCIAL, A. COLIN, PARIS, 1993.

3.1.5- أعمال بورديو لها تأثير أمبريقي ومنهجي:

كانت لأعماله في علم اجتماع التربية تأثيرات على أسلوب اشتغال المنظومة التربوية.

يعتبر الكشف عن عدم المساواة في الفرص المدرسية لمختلف الفئات الاجتماعية مكسبا غير قابل للنقاش ولا جدال فيه في علم الاجتماع. كما أن أعماله الأصيلة في علم اجتماع المدرسة التي بدأها في السنوات الستين كانت لها ردود فعل عند المختصين بالبيداغوجيا ورجال السياسة المكلفين بتسيير القطاع التربوي.

في بداية الأمر، أبدى الفاعلين في المنظومة التربوية نوعا من عدم الاكتراث، لأن إثارة مسألة العوائق الاجتماعية الثقافية كانت ذريعة لعدم القيام بأي شيء كم خاصة وأن هؤلاء الفاعلين يعتقدون أن بعض الأطفال محكوم عليهم بالفشل بح انتمائهم الاجتماعي ولا يوجد هناك أي إجراء بيداغوجي بوسعه أن يصحح من تأثير هذه الحتمية، إلا أن هذه النتيجة تبدو مستخلصة من قراءة متسارعة لكتاب "الورثة" لأن بيار بورديو يشير فيه إلى إمكانية معالجة عدم المساواة وذلك من خلال تعليم ديمقراطي "حقيقي" وبواسطة بيداغوجيا مغايرة والتي يمكن أن تبحث في تحييد بصفة منهجية فعل الامتيازات الثقافية¹.

وبالفعل اتخذت منذ 1964 عدة إجراءات تهدف إلى مكافحة الرسوب المدرسي: المتوسطة الموحدة للجميع مع إصلاح "هابي Haby" في سنة 1974 وتنويع مناهج التدريس وذلك من خلال الطرائق المسماة بالنشطة والتي ترسي بناء المعرفة على نشاطات المتعلم، وخلق مناطق التربية ذات الأولوية وذلك بإعطاء تلاميذ الأحياء المحرومة ظروفًا حسنة للتعليم. وبالموازاة مع ذلك، فإن البحث في علوم التربية تطور وذلك بتعدد الدراسات حول مختلف عوامل النجاح والفشل المدرسي².

¹ المرجع نفسه.

² المرجع السابق. عبد الكريم بزاز.

المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية اعتمد على الدراسات السوسولوجية لوضع تسمية المهن والفئات الاجتماعية.

إن أعمال ديروزيير DEROSIERES وتيفينو THEVENOT الخاصة بالمهن والفئات الاجتماعية- المهنية تستعمل إسهامات علم اجتماع بييربورديو. وإصلاح 1982 هو نتاج تعاون بين المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية وعلماء الاجتماع. ووجود بعض الفوارق الداخلية بين بعض الفئات الاجتماعية تم اتخاذه بعين الاعتبار وهكذا، فإن المزارعين تم تمييزهم حسب مساحة مزارعهم وطبيعة إنتاجهم، كما أن المزارعين الذين يملكون مزارع كبيرة لهم رأسمال ثقافي مقارنة بالمزارعين الصغار. أما الجماعات المهنية الوسيطة ففيها تقابل بين الفئات المرتبطة بالمؤسسة وتلك المرتبطة بالوظيفة العمومي: وهذه الفئات يغلب عليها الطابع الأنثوي ولها شهادات عالية¹.

إن العديد من الدراسات حول أسلوب حياة الأسر التي قام بها المعهد الوطني للدراسات الاقتصادية تشهد وتؤكد على أهمية مفهوم الفضاء الاجتماعي.

4.1.5- تطوير التفكير حول تقنية سبر الآراء:

يعرف الرأي العام على أنه تشابه في الأحكام التي يصدرها عدد كبير من الأشخاص حول بعض المسائل، إلا أن بيار بورديو في مقالة مشهورة ومستفزة نوعا ما قال أن " الرأي العام لا يوجد"². وقد واصل الكثير من الباحثين هذا التساؤل ومن بينهم شامباني CHAMPAGNE الذي اهتم بالأحكام المسبقة وبالآثار الاجتماعية لسبر الآراء.

¹ المرجع نفسه.

² P.B. QUESTIONS, OP.CIT, P 222.

إن عملية سبر الآراء قائمة على مسلمة مفادها أن كل فرد يستطيع أن يعطي إجابة على سؤال سياسي، في حين أن النتائج ما هي سوى عرضية. وعلاوة على ذلك، فإننا نلاحظ عددا كبيرا من الإجابات خاصة عندما يتعلق الأمر بالمسائل السياسية التجريدية، كما أن النتائج المنشورة لاتذكر دائما نسبة عدم الإجابة.

ومن جهة أخرى، فإن الممارسة المتكررة لعملية سبر الآراء. تعدل من اشتغال الأنظمة الديمقراطية¹، لأن سبر الآراء خلافا للوهم الأمبيريقى ليس عبارة عن تقنية محايدة وعادية جدا لجمع المعطيات، بل هو عبارة عن استفتاء صغير يتكرر والذي عندما تنشر نتائجه في شكل مساومة إعلامية لا يمكن أن تترك الممثلين المنتخبين غير مباليين، لأنه عندما تكون نتائج نسبة الرضى أو الثقة "رديئة" فهذا يدعو الحكام إلى المزيد من اليقظة وكذلك الأمر عندما تكون فوارق في الرؤى بين الرأي العام والحكام حول مسألة معينة، أو إجراء ما، فهذا يدعو إلى القيام بعمل تفسيري معمق. وعلمه، فإن تقنيات سبر الآراء تخلق سلوكات جديدة لدى رجال السياسة ويظهر سبر الآراء وكأنه تعويض للإستشارة الانتخابية.

2.5- الانتقادات الموجهة للفلسفة البوردياوية:

1.2.5- تصور المجتمع حسب بورديو تجاوزه الزمن:

يرى منتقد بيبر بورديو أنه ما يزال متشبثا بالنظرة التقليدية للبنية الاجتماعية المقسمة في شكل طبقات اجتماعية متصارعة، حتى وان أضاف إلى الصراع القائم على رهانات مادية صراعات أخرى تتعلق بمراكمة الرأسمال الرمزي فهذا لن يغير من الحكم، وهكذا فإن مقارنة بورديو هي محل نقد ثلاثي:

¹ P. CHAMPAGNE, FAIRE L OPINION, Ed, MINUIT, PARIS, 1990.

- حسب بعض علماء الاجتماع فإن مفهوم الطبقة الاجتماعية غير مناسب في المجتمعات المعاصرة¹.

وفي مقابل الطبقة الاجتماعية، فإن العديد من المؤلفين يفضلون استعمال مفهوم الشريحة، فيرون أن استعماله يعني أولاً القيام بتصنيف الأفراد الذين يشكلونها حسب معيار معين والذي يسمح بترتيبهم (إن الشريحة بهذا المعنى هي عبارة عن فئة بسيطة بمعنى تجمع إحصائي)²، كما يدل كذلك على رفض الحديث عن المجتمع في شكل طبقات وأنه توجد عدة جماعات اجتماعية متدرجة حسب مقاييس متنوعة المداخل، الشهادات، السلطة، السمعة...

وفي هذا الصدد يقترح هنري مندراس "Mandras" " هو عالم اجتماع فرنسي معاصر " نظرة كوسموغرافية " للمجتمع الذي يشبهه بالسماء أين تنتظم النجوم في شكل أجرام مختلفة.

وقد اتخذ مندراس مقياسين للتصنيف وهما مستوى الشهادة والدخل وكل مهنة وفئة اجتماعية تتدرج حسب هذين السلمين وأن التقاطع بين البعدين يسمح التفريق بين مجموعتين: الجرم الشعبي المكون من العمال والموظفين والجرم المركزي المكون من الإطارات والمعلمين والمهندسين، وفي محيط هذين البرجين تتوزع مختلف الكوكبات والمجرات الصغيرة والمنعزلة من أصحاب المهن الحرة والمقاولين الكبار والتقنيين والمزارعين، وفيما يتعلق بالقادة فإن عددهم محصور جدا وتتوهم كبيراً يحول دون أن يظهروا في شكل جماعة خصوصية³.

ومنه فإنه من الخطأ اعتبار أنه توجد طبقات اجتماعية في المعنى الذي يعطيه لها بيار بورديو Pierre Bourdieu من جهة؛ لأن البرجوازية كمالكة وحيدة للرأس مال لا توجد، وأن

¹ عبد الكريم بزاز، علم اجتماع، بيار بورديو، مرجع سابق، ص 179.

² المرجع نفسه. ص 179.

³ المرجع السابق، عبد الكريم بزاز، ص 181.

الطبقة العاملة المتناقصة عدديا تشهد أزمة على مستوى هويتها يغذيها انهيار الماركسية، ومن جهة أخرى وبسبب تصاعد الفردانية التي تعطي للأفراد إمكانية اختيار أسلوب حياتهم، يرى مندراس أن «الإطارات يمكن أن يختاروا العيش كالبروليتاريين وأن العمال يمكن أن يعيشوا كالبرجوازيين¹».

2.2.5 - صراع الطبقات مفهوم متقادم ومهجور:

وهو موقف " آلان توران Touraine " الذي يعتبر كمثل لعلم اجتماع الفعل، وهذا موقف طوره منذ سنة 1969 في كتابه «المجتمع ما بعد الصناعي» وإن استدلاله في ذلك يقوم على ظهور المجتمع ما بعد الصناعي Society Post-Industrial وهو مجتمع له خصائص مختلفة عن خصائص المجتمع الصناعي Sociaty Industrial على الإنتاج المادي وعلى فكرة التقدم وعلى أخلاقيات العمل، والمجتمع الصناعي تخترقه حركة اجتماعية مركزية، الحركة العمالية المتعارضة مع البرجوازية، بينما المجتمع ما بعد الصناعي فهو يتميز بسيطرة الإنتاج اللامادي (الإعلام والاتصال)، وبأخلاق اللذة وبالإبداع وبغياب صراع مركزي كالصراع بين البروليتاريا والبرجوازية.

- إن الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع ما بعد الصناعي يترجم من خلال تغير على مستوى الصراعات سواء تلك المتعلقة بالرهانات أو بالفاعلين².

- في المجتمع ما بعد الصناعي، لا يتمثل رهان الصراعات في إحداث انقلاب على البرجوازية، وإنما في مراقبة التوجهات الثقافية للمجتمع ولاسيما تلك التي تحددها الدولة، ويتعلق الأمر حينئذ بمكافئة الأجهزة البيروقراطية والقرارات التي تبرمجها، لأن الأماكن التي تمارس فيها السلطة والسيطرة تحولت وتوسعت فلا يتعلق الأمر فقط بالمؤسسة، ولكن كذلك

¹ H. MENDRAS, LA SECONDE REVOLUTION FRANCAISE 1965.1984, GALLIMARD, PARIS, 1994.

² المرجع السابق، ص 180، 181.

بسلطة التكنوقراطية التي تقوم على مراقبة الأجهزة الكبرى للتسيير والإنتاج ونشر المعلومات، التعليم، وسائل الإعلام، الإدارات المركزية¹.

لذا يمكن حصر الفاعلين في طبقتين متعارضتين، وعكس ذلك فقد ظهرت العديد من الحركات الاجتماعية ف ، الأخيرة يمكن أن نعرفها على أنها مجموعة من الأفعال و السلوكات والتي تعيد النظر بصفة جزئية أو شاملة في النظام الاجتماعي وتحاول تغييره وهو حال الحركات النسوية والايكولوجية والطلائية وحركات تلاميذ الثانويات، الحركات الاجتماعية محمولة خاصة من قبل الفصيلة المسماة طبقة متوسطة مهندسون وتقنيون وأساتذة.

3.2.5- الجماعات الاجتماعية لها هوية خاصة ولا تعرف أو تحدد فقط في مقابلتها بالطبقات المهيمنة:

خلافًا لما يؤكد بورديو، فإن علاقات الهيمنة لا تكفي للكشف عن الفوارق الاجتماعية والثقافية وهكذا ففي داخل الطبقات الشعبية يمكن أن نميز سمات ثقافية أصيلة، والطبقة العمالية التقليدية لها شعور جماعي قائم على علاقات جوارية مكثفة وعلى التعاون التضامن.

ومن جهة أخرى، فإن أعضاء الطبقات الشعبية يستهلكون منتجات ثقافية موجهة إليهم بأقل سلبية خلافًا لما يعتقد البعض، وبالتالي يمكن للإخبار التلفزيونية أن تكون مصدرا لإبداع ثقافة أصيلة قائمة على إعادة التأويل والاقتباس، وختامًا فإن الإنتاج الذاتي والصيغ اللغوية والقيم والمعايير التي لها علاقة ببعض الظواهر الجماعية الرياضية ليست فقط إنتاجا لثقافة مفروضة من "الأعلى"².

¹ المرجع نفسه، ص ، 181.

² المرجع السابق، ص 180، 181.

إن هذا التحليل صالح كذلك لبعض الفئات المتوسطة التي طورت ثقافة خاصة بها، فهي تقوم بنشر القيم والممارسات الخصوصية المصطبغة بـ"الليبرالية الثقافية"، وخلافا للفئات الأخرى، فإن الفئات المتوسطة تبدو متسامحة في الأمور المتعلقة بالسلوكيات وحريصة على احترام حقوق الإنسان والطبيعة وتحاول نأ تجمع وتؤلف بين الحرية الفردية ودولة الرعاية هذه الفئات تطالب بنموذج ثقافي قام على الحرية وعلى الألفة الاجتماعية .

4.2.5 - تحليل التغيير الاجتماعي مغيب من علم اجتماع بورديو كما يتجلى ذلك في

تصوره لدور المدرسة:

- نظرية بورديو ستاتيكية وتهمل التاريخ:

إن علم اجتماع بيار بورديو متهم بعدم إعطاء تحليل مناسب للتغيير الاجتماعي وعلى أنه مركز جدا على تحليل آليات واستراتيجيات إعادة الإنتاج، وأن الأطروحات المتعلقة بـ " المدرسة التي تعيد الإنتاج " تم نقدها نظرا لطابعها الجامد واللاتاريخي.

ومنذ صدور الكتاب «إعادة الإنتاج» في بداية السبعينات توالى عدة دراسات وانتقادات تركزت من جهة على التعسف والقسر وعلى جمود الثقافة المدرسية، حيث قدمت المعايير الثقافية على أنها لازمانية وكونية في حين أن التاريخ بين أن مقاييس الانتقاء والامتياز المدرسي تتغير، ومن جهة أخرى، فإن تساؤل بيار بورديو يكتفي بسؤال واحد ومتكرر وهو لماذا تصلح المدرسة لا يمكن سوى أن تعيد إنتاج النظام الاجتماعي، القائم بكل تفاوته وعدم مساواته.

إن هذا التصور كان موضوعا لنقد شديد: من جهة أنه لا يمكن الاتفاق على أن المحافظة عادة والإنتاج مسألة حتمية لجهة كونها الهدف الوحيد الذي يمكن للمدرسة أن تلعبه، بل أن التغيير والتجديد من أدوارها أيضا، ولقد أثبت التاريخ أن للمدرسة كذلك طاقات

"إنتاجية"، لأن تعميم التعليم الابتدائي ساهم لا محالة في خلق تجانس ثقافي في فرنسا وفي نشر اللغة¹.

- نظرية إعادة الإنتاج أهملت دور الفاعلين، كما أن مقاربات بيار بورديو احتفظت بتصوير سلبي جدا للأفراد الموجودين في العملية التربوية: الأساتذة والأولياء والتلاميذ، إذ يصور هؤلاء وكأنه لا أثر لهم أمام الحتميات الماكر وسوسولوجية.

إن هذه النظريات تجعل من الفرد مجرد إنتاج للمجتمع، أي عبارة عن دمية يحركها منطق اجتماعي يتجاوز الفرد.

وهذه المقاربات غير قادرة على معرفة سلوكات الفاعلين وبالتالي فهي لا تفسر أي شيء².

إن نظرية بورديو شأنها شأن كل النظريات التاريخية، "بمعنى ارتباطها وتعبيرها عن مرحلة تاريخية معينة، ونسق اجتماعي محدد هو النموذج الفرنسي، كما أنها قد تصبح بدون معنى تذكر في المجتمعات غير الطبقيّة بالمعنى الرأسمالي، أو القبل حدائية بالإجمال على مستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي حيث غموض حدود التمايز الاجتماعي والثقافي.

على ضوء كل ما قيل توصلنا إلى استخلاص أهم النتائج التالية:

❖ المدرسة عند بورديو موظفة كأداة لإضفاء الشرعية على التفاوت الاجتماعي وبعيدا عن أن تكون تحررية فهي محافظة وتعمل على إبقاء سيطرة المسيطرين على الطبقات الشعبية أي عدم التغيير الاجتماعي ووجود نفس السلاسل والممارسات داخل نفس المجتمع.

¹ خالد عبد الشافي: (محاولة في نقد نظرية بورديو في التربية)، منشور على شبكة الأنترنت في موقع الحوار المتمدن، 4279، 2013.
² المرجع السابق، خالد عبد الشافي.
www.ahewar.org/debat/showart.asp?aid

- ❖ وأكد بورديو أن قدرة الممثلين الاجتماعيين لفرض -ويشكل بسيط- منتجاتهم الثقافية والأنظمة الرمزية يلعبان دورا أساسيا في إعادة إنتاج البنى الاجتماعية المهيمنة.
- ❖ إن الثقافة المدرسية هي ثقافة خصوصية، ثقافة الطبقة المسيطرة المحولة إلى ثقافة شرعية قابلة للتموضع ولا جدال فيها، وبالتالي فهي ثقافة اعتبارية وقسرية وذات طبيعة اجتماعية.
- ❖ لقد ركز بيير بورديو على التلفزيون باعتباره أداة إعلامية خطيرة يمارس العنف ضد المواطنين، إذ تقدم ما تشتهيه السلطة المهيمنة التي تشتغل لتحقيق مصالحها وأهدافها وأرباحها، ومن ثم يتلاعب بعقول الناس، وينشر بينهم إيديولوجية الدول المهيمنة، وأفكار الطبقة الحاكمة، كما أنه لا يشكل خطر على مستوى الإنتاج الثقافي من فن وآداب وعلم وفلسفة وقانون فحسب، بل بات يهدد أيضا الحياة السياسية والديمقراطية.

خاتمة

خاتمة:

في نهاية هذا البحث يمكن القول إن أي عمل مهما كان نوعه أو مجاله المعرفي يحتاج إلى أن نقف على أهم النتائج والاستنتاجات أو الخلاصات التي تم الوصول إليها، وفي بحثنا هذا لا بد من التأكيد:

- إن الطابع التجديدي لمقاربة بيار بورديو التي وصفها البعض بالثورة الرمزية المماثلة لتلك الثورات التي نراها في الحقول العلمية الأخرى تكمن في تجاوز المعارضات التقليدية في علم الاجتماع بين الموضوعية والذاتوية وبين الرمزي والمادي من أجل تأسيس مقاربة يمكن تسميتها بالبنوية النشوئية أو البنائية. أي أنه حاول تجاوز تلك المشكلة من خلال تأسيس نظرية وسطى تعمل على التغلب على الثنائية المتعسفة بين الفرد والنزعة الذاتية والمجتمع النزعة الموضوعية.
- ظهر المنهج البنيوي التكويني على إثر بوادر وجهود عدة مفكرين ونقاد، منهم جورج لوكاش الذي ربط الأدب بسوسيولوجياته والتي استفاد منها تلميذه لوسيان غولدمان، وبلورها لتصبح منهجا له.
- البنيوية بالنسبة لبوردو هي منهج فلسفي فكري ونقدي، ونظرية للمعرفة تتميز بالحرص الشديد على الالتزام بحدود المنطق والعقلانية، ويتأسس هذا المنهج على فكرة جوهرية مؤداها: أن الارتباط العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة ببعضها البعض على أساس العناصر المكونة لها، أما تلك العناصر فلا يعني بها المنهج إلا من حيث ارتباطها وتأثرها ببعضها في نظام منطقي مركب.

- وظف بيير بورديو مجموعة من المفاهيم والمصطلحات السوسيولوجية، مازالت ، إلى يومنا هذا، في حاجة ماسة وشديدة إلى الفحص، والتوضيح، والتدقيق، والإعادة، والتغيير، والتعديل، والتأويل، ولاسيما الهاييتوس، والرأسمال، والحقل، والعنف الرمزي، والتميز، وغيرها من المفاهيم الإشكالية الأخرى.
- أن بيير بورديو من أهم السوسيولوجيين الملتزمين بالتصور الماركسي في نقد السياسة الرأسمالية. وقد انشغل بتقديم نظرية سوسيولوجية للمجتمع في ضوء المقاربة الصراعية.
- إن بورديو يتطلع إلى مجتمع إنساني أرحب يقوم على أساس متين من العدل والحرية وهذا بتبنيه مسألة العدالة والديمقراطية - التي تعد من المسائل المعقدة التي تحتاج إلى جهد علمي ونقد جاد لإصلاح- المدرسة كمؤسسة تربوية.
- إن الثقافة المدرسية هي ثقافة خصوصية، ثقافة الطبقة المسيطرة المحولة إلى ثقافة شرعية قابلة للتموضع ولا جدال فيها، وبالتالي فهي ثقافة اعتباطية ذات طبيعة اجتماعية.
- رغم ما أثاره بورديو وبثيره من مجادلات ومناقشات وخلافات، إلا أنه يدل على مدى قوة التفكير الذي يمتلكه وعظمة "الثورة الرمزية" التي أحدثها في ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية، باعث قوة وتجديد في الفكر السوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو (الذي يعد من أبرز ثلاثة مفكرين فرنسيين الذين بلغت أعمالهم منزلة مركزية في الفكر الغربي الحديث بجانب «إميل دوركايم»، و«ميشيل فوكو»
- كما يعتبر بورديو واحد من أشد متون إبداعا وخصوبة في النظرية والبحث المتعلقين بالسوسيولوجيا لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد استطاع بعلمه الواسع أن يتناول مجموعة من الميادين المعرفية كالأنثروبولوجيا وسوسيولوجيا والإثنولوجيا والتربية والتاريخ واللسانيات والسياسة والاقتصاد والفن، وما يميز أعماله أيضا هو التنوع والأصالة والعمق

واعتماد مجمل دراساته على التجربة والمعاشية أكثر من اعتماده على التأمل وغرف المكتب المكيفة، واشتهر بأبحاثه التفكيكية لأنساق وآليات الهيمنة الاجتماعية والانتصار للشرائح المهيمن عليها في سياق تكريس مفاهيم أكثر تعبيراً عن العدالة الاجتماعية.

- ويمثل أيضاً بيير بورديو رمز من الرموز الأهم في مجال علم الاجتماع في العقود الأخيرة، فلقد طرح ما يمكن أن نطلق عليه المشروع الفكري الأكثر شمولا ورونقا، لقد قدم نظرياته الاجتماعية المتميزة على مدار حياته الحافلة المليئة بالأحداث وعكست هذه النظريات التزامه الدائم نحو العلم وبناء المؤسسات الفكرية وتحقيق العدل الاجتماعي، وقد امتلك اتجاهها فكريا سوسيولوجيا وأكاديميا لا نظير له، فالتاريخ قد سجل أن كثيرا من المبدعين قد خلدوا أسمائهم بكلمة واحدة أو مصطلح أبدعوه، فبماذا سيخلد التاريخ لبورديو، وقد أبدع العديد من الكتب ومئات من مقالات والدراسات التي ترجمت إلى أبرز الألسن في العالم.

وختاما نقول، يبقى مجال البحث مفتوح للسؤال والتحليل والاجتهاد.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

- أولاً : المصادر:

أ- باللغة العربية:

- بورديو بيار: الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.

- بيار بورديو و لوك جون دو فاكونت: أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الانعكاسي، ترجمة: عبد الجليل الكور، إشراف ومراجعة محمد بدودو، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، بدون طبعة، 1997.

- بيار بورديو: أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة، ترجمة: أنور مغيث (الجماهيرية الليبية: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع)، الطبعة الأولى، 1996 الموافق لـ 1425 هـ.

ب- باللغة الأجنبية:

- Pierre Bourdieu: Méditations Pascaliennes, Paris, Edition De Seuil, Colle « Libre, 1997.

- Pierre Bourdieu: Choses Dites, Paris, Edition De Minuit, 1997 .

- Pierre Bourdieu: Question De Sociologie, Edition Minuit, Paris 1980.

- Pierre Bourdieu, La domination masculine.

-Pierre Bourdieu: Espace Social Et Gens D Classe, A, R, Ssn, 1984.

-Pierre Bourdieu: Le sens pratique, Edition de Minuit, Paris, 1980.

ثانيا : قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

- أحمد سالم ولد أباه: البنيوية التكوينية والنقد العربي الحديث، المكتبة المصرية، 2005.
- إبراهيم روماني: أسئلة الكتابة النقدية، المؤسسة الجزائرية، ط1، 1984.
- إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، ط1، دار الجيل، بيروت، دن، بيروت.
- بشير تاويريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، د ط ، دار الفجر للطباعة والنشر، قسنطينة: 2006 م.
- بشير تاويريريت، الحقيقة الشعرية، على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية (دراسة في الأصول و المفاهيم) ، ط1، عالم الكتب الحديث :2010م.
- بغورة الزاوي ، المنهج البنيوي، ط1، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميلة، الجزائر:2001م.
- بغورة الزاوي : المنهج البنيوي، ط1، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميلة، الجزائر:2001م.
- بياجيه جان ، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، ط ، 4 منشورات عويدات، بيروت،1989.
- بينتو لويس: نظرية العالم الاجتماعي عند بيار بوريو، ترجمة: محمد أمطوش، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
- تيرى إيجلتون ، الماركسية والنقد الأدبي ، ترجمة جابر عصفور، ط2، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1986.

- جابر عصفور، نظريات معاصرة، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1988م.
- جون ليشته: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا - من البنيوية إلى ما بعد الحداثة -، ترجمة: فانتن البستاني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2008.
- جميل هلال، محمد نصر: قياس رأسمال الاجتماعي في الأراضي الفلسطينية، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، ماس، 2007.
- جينيفر م. أيمان: تفكيك دوركايم، ترجمة: محمد أحمد عبد الله، مراجعة محمود الكردي، تقديم: محمد حافظ دياب القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2013.
- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي وفتحي السيد، د.ط، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دت، مج .
- جمال شحيد، في البنيوية التركيبية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان) ، دار ابن رشد، بيروت، ط1، 1982.
- جميل حمداوي: المفاهيم السوسولوجية عند بيير بورديو، تاريخ الإضافة 2015/3/7
- جورج لوكاش، دراسات في الواقعية، ترجمة: نايف بلوز، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: 1985م.
- جون سكوت: علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2013م.
- جيريمي ريفكين: عصر الوصول، تر: صباح صديق الدموجي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

- حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجي، من سيكيولوجيا الرواية إلى سيكيولوجيا النص، المركز الثقافي العربي، ط1، لبنان، 1990.
- حميد لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي - دراسة بنيوية تكوينية - منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.
- حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط1، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، 1992.
- دوركايم ايميل: التربية الأخلاقية، ترجمة: محمد بدوي، (مصر، مكتبة مصر، بدون طبعة، بدون سنة).
- رمان سيلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دط، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1988.
- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دط، دار مصر للطباعة، القاهرة، دت.
- سايمون كلارك: أسس البنيوية نقد ليفيشتراوس والحركة البنيوية، ترجمة: سعيد العلمي، مراجعة ابراهيم فتحي، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2015.
- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ط1، دار ميريت للنشر، القاهرة : 2002م.
- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط1، مؤسسة الشروق، القاهرة : 1998م.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر: 2002.
- عبد الرحمن عبد الله: تطور الفكر الاجتماعي، (مصر الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، بدون طبعة وبدون سنة).
- عبد الجليل بن محمد الأزدي: بيار بورديو الفتى المتعدد والمضياف، (مراكش: مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، فيبرابر.

- علي أسعد وطفة، علي جاسم شهاب: علم الاجتماع المدرس: بنيوية الظاهرة ووظيفتها الاجتماعية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، الكويت، 2003.
- عمرو عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق: 2008 م.
- فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: 1995م.
- لويس بينتو: نظرية العالم الاجتماعي عند بياربورديو، ترجمة: محمد أمطروش، عالم الكتاب الحديث، ط1، الأردن 2014.
- محمد الأمين بحري، البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، كلمة للنشر والتوزيع، دار الأمان الرباط، المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015.
- محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: العقل والعقلانية، ط2، المغرب، دار توبقال للنشر، 2007.
- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دط، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق: 2003م.
- محمد نديم خشفة: تأصيل النص (المنهج البنيوي لدى لوسيان جولدمان) الطبعة 1 ، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1997.
- ميشيل توما ليلو: الأصول الثقافية للمعرفة البشرية، تر: شوقي جلال، ط1 ، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

- مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة: رضوان ظاظا، دط، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: دت.
- مجموعة مؤلفين، خطابات الـ "ما بعد الحداثة" في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، إشراف وتقديم علي عبود المحمداوي، الرباط، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، ط1، 2013.

- يوسف وغليسي، البنية والبنوية، بحث في البنية اللغوية والإصلاح النقدي، دط، جامعة قسنطينة، الجزائر: دت.

- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ط1، جسور النشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر: 2007.

ب- المراجع باللغة الأجنبية:

- Emile Durkheim, les Règles De La Méthode Sociologique, Puff, Pris, 1984.

- Gérard pirlot : La violence et souffrance a l'Adolescence , Psychopathologie, Psychanalyse et anthropologie culturelle, l'Harmattan, 2003.

H. Mendras, la seconde revolution française .1965.1984 ,gallimard ,Paris,1994.

-I.Gillioz :Définition de laviolence in: [http://www. Eurowrc. org/06](http://www.Eurowrc.org/06). Contributions /2. du25/12/02.

- J.-C. Dorian, Les Grands Auteurs En Sciences Sociales, Pub, Paris 1996.

- Myriam Watthee- Delmotte: Laviolence representations et ritualisations, Lharmattan, France, 2002.

- P. Champagne , faire l'opinion, ed, minuit, Paris, 1990.

-Robert.P: Dictionnaire Le Robert analphabétique et Analogique de la langue Francaise, Société du nouveaux livres(S.N.L), Paris, 1978.

ثالثاً: المعاجم و القواميس والموسوعات:

أ- المعاجم :

- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، د م.

- بودون، ف. بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: سليم حداد، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1986.

- جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.

- ستيفان شوفالييه و كريستيان شوفيري: معجم بورديو، ترجمة: الزهرة إبراهيم (دمشق، علي مولا للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، 2013).

ب- القواميس:

- محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار الطبع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.س.

- يوسف محمد رضا: الكامل الكبير، قاموس اللغة الفرنسية الكلاسيكية والمعاصرة والحديثة، (بيروت لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة السادسة 2006).

ج- الموسوعات:

- شاكِر عطية قنديل، فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ط 2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دم، 2003.

رابعاً: المجلات:

- أحمد موسى بدوي: (مابين الفعل والبناء الاجتماعي بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو)، مجلة إضافات، العدد الثامن، 2009.

- أفراح محمد جاسم، سعد محمد علي، الهابيتوس وأشكال رأس المال في فكر بيير بورديو ، مجلة الأستاذ، العدد 210، 2014.

- جاسم محمد أفراح، سعد محمد علي حميد، الهابيتوس وأشكال رأس المال في فكر بيير بورديو، مجلة الأستاذ.

- حبيب بن صافي: (العنف وعلاقته بالفرد والمجتمع)، مجلة الحوار الثقافي، 2015.

- حساين المأمون، بيير بورديو نحو سوسيولوجيا الكشف عن الهيمنة (الحقل التربوي) أنموذجاً. مجلة دليل الكتاب www.dalilalkitab.net/id=214

- حسني إبراهيم عبد العظيم: (الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي :قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو)، إضافات، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 15، صيف 2011.

- محمد الإحساني، البنيوية التكوينية وإشكالية تخارج الإبداع مجلة الحوار المتمدن ، العدد ، 1723 ، 3/11/ 2006.

خامساً: المقالات:

- حسني إبراهيم عبد العظيم : (مفاهيم سوسيولوجية حديثة: الهابيتوس) ، مقال منشور على شبكة الأنترنت في موقع الحوار المتمدن، 3702، 2012.

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid .

- خالد عبد الشافي: (محاولة في نقد نظرية بورديو في التربية) ، منشور على شبكة الأنترنت في موقع الحوار المتمدن، 4279، 2013.

www.ahewar.org/debat/showart.asp?aid

- خالد كاظم أبو دوح: (قراءة أولية في سوسيولوجية بيبير بورديو)، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن، العدد: 1912، 2007 .

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid

- عبد الله بريزي: (آليات الخطاب السوسيولوجي عند بيبير بورديو بين التنظير والممارسة)، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن، العدد 3829، 2012.

www.ahewar.or/debat/show.art.asp?aid

- علي أسعد وطفة: (الطاقة الاستلابية للعنف الرمزي)، مقال منشور على الإنترنت في موقع شبكة النبأ المعلوماتية، 2012:

www.annabaa.org/nbanews/2012/05/8htm

- علي أسعد وطفة: (الهابتوس في سوسيولوجيا بورديو) ، مقال منشور على الأنترنت في موقع شبكة النبأ المعلوماتية،

www.annabaa.org/nbanews/2012/03/227.htm

سادسا: الرسائل الجامعية :

- أحمد دناقة: الأستاذ الباحث وواقع إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي- دراسة على عينة من أساتذة علم الاجتماع بجامعة الأغواط. غرداية. ورقلة. رسالة مكملة للماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011.

- الزبير بن عون: تحليل سوسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة - دراسة حالة المجالس الشعبية المحلية المنتخبة بولاية الأغواط-، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع والاتصال في المنظمات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2012.
- عبد الكريم بزاز: علم اجتماع بار بورديو، دراسة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، اشراف: نورالدين بومهرة، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية، 2006-2007.
- كلتوم بن عبد الرحمان ، السلطة والآليات الرمزية عند بيار بورديو، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر ، باتنة1، 2019.
- نورة عامر: التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2006.

الصفحة	العنوان
	مقدمة
	الفصل الأول: بيير بورديو رائد البنيوية التكوينية
6	1. مفهوم البنية والبنيوية.....
06	1.1 مفهوم البنية.....
08	2.1 مفهوم البنيوية
12	2. البنيوية التكوينية Structuralisme génétique.....
12	1.2 مفهوم البنيوية التكوينية.....
14	2.2 المصطلحات الإجرائية للبنيوية التكوينية.....
15	3. البنيوية التكوينية وصولاً إلى بيير بورديو.....
15	1.3 جهود جورج لوكاش.....
19	2.3 جهود لوسيان غولدمان.....
22	4. المسار الفكري لبيير بورديو.....
23	1.4 السيرة الذاتية لبيير بورديو.....
26	2.4 الانتماء الفكري والفلسفي
	الفصل الثاني: المقاربة السوسيولوجية عند بيير بورديو

30	1- المرجعية الفكرية والمعرفية لبيار بورديو.....
31	1.1 كارل ماركس.....
34	2.1 ماكس فيبر.....
35	3.1 إيميل دوركايم.....
38	2- نقد بورديو للتيارات السوسيولوجية المضللة.....
40	1.2 بورديو ينقد بصفة صريحة وضمنية التيارات السوسولوجية الأخرى...
41	2.2 بورديو ينقد الاستعمالات المضللة لعلم الاجتماع.....
42	3- البنيوية والمقاربة السوسيولوجية.....
	الفصل الثالث: بنيوية بيير بورديو التكوينية وأهم المفاهيم المركزية لها
53	1- الهابيتوس في فكر بورديو.....
53	1.1 المفهوم اللغوي.....
54	2.1 المفهوم الاصطلاحي.....
58	3.1 الهابيتوس بين المستويات والسمات.....
60	2- إعادة الإنتاج.....
60	1.2 الجذور السوسيولوجية لمفهوم إعادة الإنتاج.....
61	2.2 خاصية إعادة الإنتاج ومجالات وجودها.....
62	3.2 المعنى السوسيولوجي لإعادة الإنتاج في الفكر البوردياوي.....

63	4.2 استراتيجيات إعادة الإنتاج
65	3- العنف الرمزي.....
67	1.3 مفهوم العنف.....
69	2.3 مفهوم العنف الرمزي
71	4- الرأسمال.....
71	1.4 الرأسمال الاقتصادي.....
71	2.4 الرأسمال الثقافي.....
72	3.4 الرأسمال الاجتماعي.....
72	4.4 الرأسمال الرمزي.....
73	5.4 الرأسمال القيمي أو الديني.....
74	5- نظرية بورديو بين الرفض والقبول.....
74	1.5 مقارنة بورديو ومؤيديه.....
80	2.5 الانتقادات الموجهة للفلسفة البوردياوية
88	خاتمة
	قائمة المصادر و المراجع
	فهرس الموضوعات
	الملخص

المخلص:

تعتبر البنيوية التكوينية عند بيير بورديو مسح علمي سوسولوجي ومعرفي يتعرف فيها على ماهو كائن من النظريات السابقة بدءا من إسهامات كارل ماركس وماكس فيبر وإميل دوركايم غير إن بنيوية ليفي ستراوس حملت تغيرا في المفاهيم شاركت في إرساء نظرية اجتماعية تعتمد على مقارنة بنيوية سوسولوجية .

الكلمات المفتاحية: بيير بورديو ، البنيوية التكوينية ،السوسولوجيا ، المقاربة البنيوية .

Résumé

Selon Pierre Bourdieu, le structuralisme formatitif est une enquête scientifique et sociologie et cognitive dans laquelle , il identifie l'existant à partir de theories anterieures, à commencer par les apports de Karl Marx et Max Weber et Emile Durkei.

Cependant, le structuralisme de Levi-Straws a porté un changement de concepts qui à participé à l'établissement d'une théorie sociale basée sur une approche structurale.

Les mots clé : Pierre Bourdieu –Le structuralisme formatitif– sociologie

l'approche structurale.